وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

الموضوع:

النظام الديني في سومر

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر
تاريخ حضارات قديمة

إعداد الطالبة:
✓ فايزة بيطصة

تحت إشـراف :
✓ الأستاذ :عبد الوهاب كيدار

السنة الجامعية: 2014/ 2015

الإهداء

الشكر و التقدير

إن نعمة الله وفضله شملت أرجاء كونه، غير أن عمل المرء يحتاج لعونه وتوفيقه، كما أن الحاجة للآخرين ضرورية لإتمام المشاريع والأعمال على أحسن وجه، وإذا كان من كمال شكر الله شكر الناس، فإنه يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير العظيم لأستاذي المشرف الأستاذ عبد الوهاب كيدار الذي قبل الإشراف على دراستي، فهو الذي كان وسيظل مثلي الأعلى في الجد والاجتهاد والإخلاص في العمل، فقد كان نعم المرشد لي بنصائحه الثمينة، وملاحظاته القيمة، وتوجيهاته العلمية في معالجة الأخطاء وفرز المعلومات الصحيحة وتوظيفها بإتقان.

كما لا يفوتني أن أعرب عن شكري وامتناني لجميع أساتذة قسم التاريخ المحترمين الذين ساهموا في تكويني سواء في مرحلة الليسانس أو مرحلة الماستر،وعلى رأسهم الأستاذ "احمد دمانة" والأستاذة "اوكيل صبيحة" واللذان لم يبخلا علي بمساعدتهم لي.

كما اشكر القائمين على إدارة مكتبة عمار ثليجي بالأغواط على ما قدموه لي من خدمات والتي تتعلق بتزويدي مجموعة من المراجع.

وفي الأخير احتسب هذا العمل لله ولا ازكي على الله عمل ،راجية منه أن يجعله من صالح الأعمال .

وشكرا

الإهـــداء

إلى الذي تمنيت أن يكون أول من يبارك عملي هذا.

إلى الذي تمنيت أن لا يغيب في مثـل هذا اليـوم.

إلي اعـز شخص أخـذته الأقـدار.

إلى روح والـدي الطـاهرة.

إلى رمز السبيل والعطاء ومنبع الحب والحنان.

إلى من سهرت من أجل راحتي، إلى من تألمت لآلامي وفـرحت لفـرحتي، إلى من ترتـاح لهـا نفسي وتأمن روحي لها.

إلى المرأة التي مهما كتبت عنها، وأكتب عنها أوراق الدنيا لأكفيها حقها،أمـــــي.

إلى جميع إخوتي وأخواتي.

إلى جميع الصديقات والأصدقاء .

وفي الأخير اهدي هذا العمل المتواضع للجميع راجية من الله عز وجل أن يفيد من يطلع عليه ويجعله في ميزان حسناتي.

"آمين يا رب العالمين"

Fayza.B

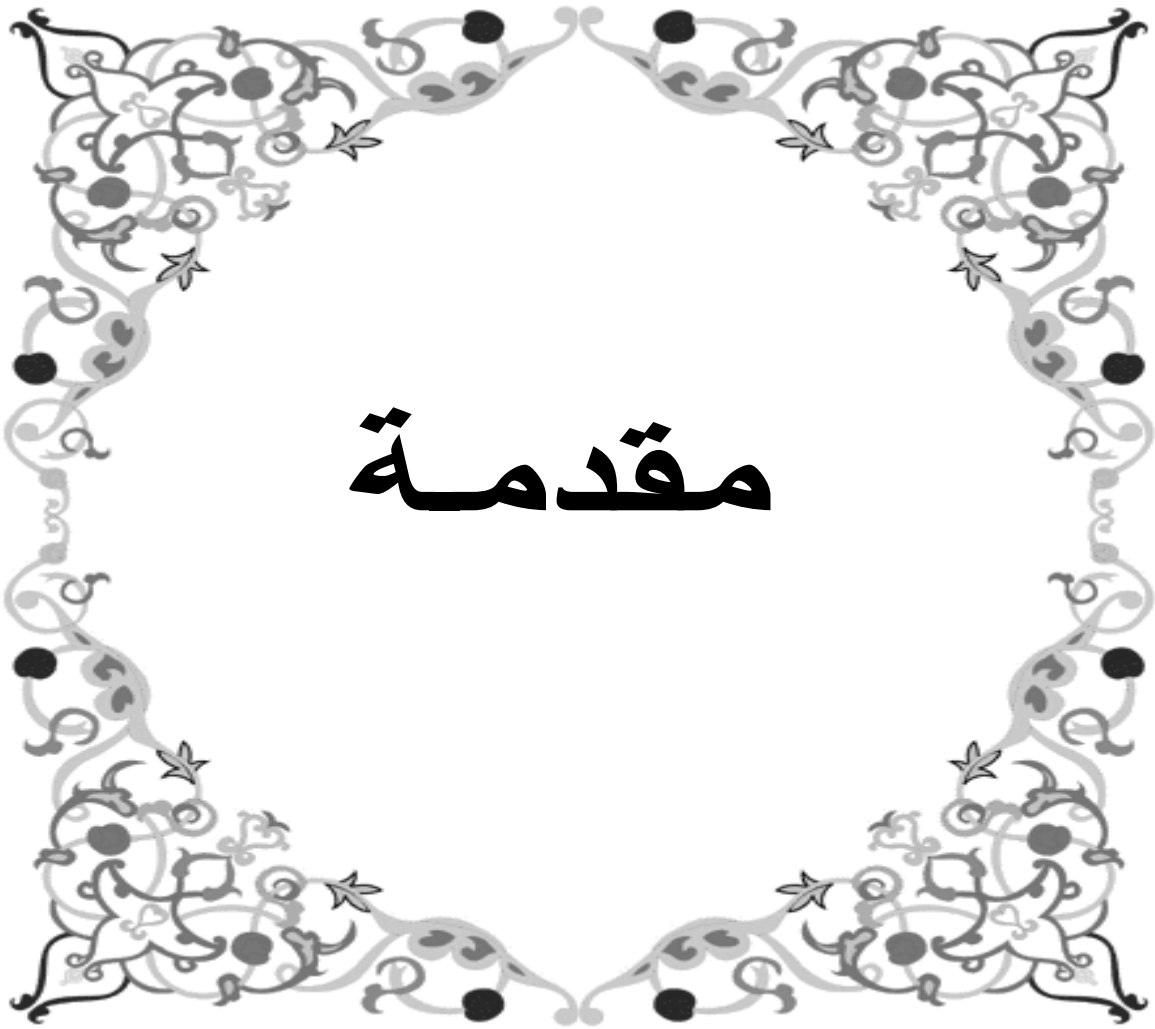

مقدمـة

إن دراسة المعتقدات الدينية لدى أي شعب أو حضارة الشرق الأدنى القديم ، هي إحدى الأسس المهمة في كشف النقاب عن تنظيم تلك الحضارة، فالمعتقد الديني هو الذي يوجه سير الحضارات ويوضح طبيعتها ومنهجها وسلوكها، ولا نبالغ إن قلنا أن المعتقد الديني هو أساس الحضارة.

ولعل من أهم هذه الحضارات نجد حضارة بلاد الرافدين، فقد شهدت هذه الحضارة البدايات الأولى للبشرية الوليدة، وخطواتها الأولى وإبداعاتها العبقرية على دروب الحياة والحضارة الإنسانية، فقد عرفت هذه الحضارة منبتا لعدة حضارات نجح فيها الإنسان في تلك الفترات في بناء نماذج مستقرة لأول مرة في تاريخ البشرية ، وبحكم أن اعرق هذه الحضارات قد قامت على أودية الأنهار، فإن الإنسان اعتمد عليها، فهذه الأنهار بدورها ساعدته على تطوير زراعته، حيث أن بداية كل حضارة تعتمد في أساسها على الزراعة، ضف إلى هذا فنظرا لما خلفته لنا هذه الحضارات الزراعية ، فإنها تؤكد لنا بأن سكانها قد عبدوا في بداية حياتهم الدينية مظاهر الطبيعة، وكل شيء يساعد على وفرة الإنتاج في الحياة.

ونجد أن ابرز حضارات بلاد الرافدين، الحضارة السومرية، حيث اتصفت هذه الأخيرة بأنها أم الحضارات، حيث يعتبر شعبها من أوائل الشعوب التي سكنت بلاد الرافدين واستقروا في جنوبها، كما ساهموا في بناء هذه الحضارة بمختلف مجالاتها سواء كانت سياسية منها وذلك بالعمل على إيجاد كيان سياسي موحد ومستقر، أو اقتصادي بتطوير زراعتها وذلك بالإعتماد على أنهارها، أو حتى الدينية منها.

فمنذ الألف السابع قبل الميلاد، فقد تشكل هذا الأخير بخصوصية نادرة اتصلت بشعبها العريق، وكان هيكله المثولوجي واللاهوتي والطقوسي يعكس نمطا جديدا من التطور الروحي الذي كان له أعمق أثر في أديان تلك العصور.

وبناء على ما يتمحوره موضوع الدين في سومر، وبعد أن تبلورت لي فكرة البحث فيه، بدأت في صياغة الموضوع وفق المادة التي قمت بتجميعها، وقد حملني هذا على طرح الإشكالية التالية: ماهي طبيعة الدين السومري؟. وإن كان هذا الموضوع يتضمن كثير من التساؤلات، مازالت عالقة في ذهن المؤرخين، فإنني سأحاول التركيز على طرح الأسئلة الجزئية الآتية:

1- من هم السومريون؟ وما هي أصولهم؟ ومن أين نزحوا إلى العراق؟.
2- كيف كانت بداية الديانة السومرية؟ وماهي ابرز خصائصها؟.
3- وماهي أهم أساطير هذه الديانة؟.
4- وماهي أبرز المعبودات التي عبدها الشعب السومري وآمن بها؟.
5- كيف كان النظام الكهنوتي؟ وماهي اهم المؤسسات الدينية؟.
6- ما أهم الطقوس المعمول بها في هذه الديانة؟.

للإجابة عن هذه الإشكاليات المطروحة، ومن اجل التوصل إلى الحقائق التاريخية، فإنني ارتأيت استعمال المنهج الوصفي والتحليلي، اللذان يرصدان وينقلان ما مضى من وقائع وأحداث فيصفانها ويفسرانها على أسس علمية صارمة بقصد الوصول إلى تعميمات تساعد على فهم نتائج التاريخ السومري وبالأخص جانبه الديني من أساطيره وآلهته وطقوسه، فهذه المناهج تساعد على وصف العبادات والشعائر الدينية السومرية، وذلك بإعطاء مسحة شاملة لهذه الأخيرة.

وقد قسمت موضوع بحثي إلى فصل تمهيدي وثلاثة فصول فقد بدأت دراستي:

بالفصل التمهيدي، والمدرج تحت عنوان "الإطار الجغرافي والتاريخي لسومر"، فاقتصرت فيه على إعطاء نبذة تاريخية عن السومريين، بالتحدث عن جغرافيتهم إلى جانب تاريخيهم السياسي الذي شهد أغلب فتراته أو مراحله حروب بين دويلاته.

في حين تناولت في الفصل الأول: والمعنون بـ" العقائد السومرية"، عن الفكر الديني السومري، وذلك بذكر بداية هذا الدين واهم الأساطير المتعلقة به من أساطير الخليقة (كخلق الكون وخلق الإنسان)، بالإضافة إلى هذا تحدثت عن أبرز المعبودات الدينية التي آمن بها الشعب السومري، وكذلك كيفية محاسبتهم ومعاقبتهم.

أما الفصل الثاني: فخصصته للتحدث عن المؤسسة الدينية في سومر، بحكم أن هذه الأخيرة قد اهتمت بشؤون شعبها ،وذلك بتسخير لهم المعابد للتقرب من آلهتهم، وممارسة صلواتهم فيها، إلى جانب المعابد كان أيضا للكهنة دور في الحياة الدنيوية وخاصة داخل تلك المعابد، حيث أنهم المسؤولون عن إدارة كل الشؤون المتعلقة بها، من كهنة رجال أو كاهنات نساء.

في حين تطرقت في الفصل الثالث والأخير: إلى "الطقوس الدينية "، حيث تناولت أهم الطقوس المنتشرة في تلك المنطقة، من طقوس يومية من صلاة باعتبارها حلقة وصل بين الإنسان والإله،

وترتبط هذه الأخيرة بممارسة الطهارة إضافة إلى تقديم القرابين والتي تعتبر من أهم الطقوس فهي بدورها تساعد على التقرب إلى الإله، ضف إلى هذا فقد كان لطقوس المناسبات اثر أيضا على حياة شعوبها، ولعل من أشهرها طقس الولادة، والبناء وذلك ببناء المعابد وتشييدها، إلى جانب طقس الزواج ولعل أشهره طقس الزواج المقدس (زواج انانا ودموزي)، كما كانت هناك طقوس أخرى مثل طقوس الأعياد، إلى جانبهم طقوس الأسرار وتتمثل في السحر والعرافة والتنجيم.

لقد دفعتني عدة أسباب لاختيار هذا الموضوع يمكنني تلخيصها فيما يلي:

* ميلي إلى دراسة تاريخ حضارة بلاد الرافدين وخاصة الحضارة السومرية وما تعلق بجانبها الديني.

* الدافع الذاتي والنفسي الذي كان يراودني أثناء دراستي في سنوات الليسانس، وقد زاد اهتمامي لهذا الموضوع "الديانة السومرية" خلال السنة أولى ماستر.

* نقص وافتقار المكتبة لهذا النوع من الدراسات، لذا ارتأيت انه من واجبنا المساهمة ولو بعمل بسيط في إثراء المكتبة .

أما عن أهمية هذا الموضوع، فتكمن في كونه يدرس جانب من جوانب الحضارة السومرية والمتمثل في عقيدتها الدينية، إضافة إلى التعرف على أهم المعبودات السومرية وطقوسها التي مارسها شعبها، بغض النظر عن آلهة بلاد الرافدين، إلى جانب معرفة موقف المؤرخين من هذه الديانة.

في حين هدفي من دراسة هذا الموضوع هو الإلمام بالجانب الديني للحضارة السومرية، وذلك بتسليط الضوء على ما جاء فيها من عبادات وطقوس سومرية، ومعرفة ما مدى تأثير هذه العقيدة الدينية على شعبها.

أما عن الدراسات السابقة لهذا الموضوع فنجد: الأستاذ بقة بلخير الذي تناول موضوع: **اثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية –سومر وبابل (3200– 539 ق.م.**

إضافة إلى الأستاذة سامية معوشي والتي تناولت موضوع: **مؤسسة المعبد ودورها في حضارة وادي الرافدين– سومر وبابل نموذجا–.**

ومنه فقد اعتمدت في إعداد هذه المذكرة على مجموعة من المصادر والمراجع: ومن أهم المصادر: القرآن الكريم.

أما عن أهم المراجع التي تحدثت عن الديانة السومرية نجد: خزعل الماجدي بمجموعة من كتبه ولعل من أهمها كتابه المعنون بـ"متون سومر"، والذي تحدث فيه بكثرة عن الديانة السومرية من بداية هذه الديانة إلى أساطيرها وآلهتها وحتى طقوسها، واستعملته في بحثي هذا في اغلب الفصول.

والى جانب كتابه هذا نجد أيضا طه باقر الذي هو الآخر تحدث عن التاريخ السومري و عن ديانته في كتابه "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، إضافة إلى هذه الكتب فقد اعتمدت أيضا على مجموعة من المجلات والتي من أهمها مجلة سومر، إلى جانب المذكرات والمقالات.

أما عن المراجع الأجنبية فقد اعتمدت على كتاب لجورج رو بعنوان "**Ancient Iraq** " واستعملته في الفصل الأول أثناء دراستي للآلهة السومرية، هذا بالنسبة إلى بعض المراجع المتعلقة بالحضارة السومرية .

ولا أخف مدى الصعوبات والمشاكل التي اعترضتني خلال البحث، والتي تتمثل أساسا في:

* قلة المادة المصدرية التي تتناول موضوع "الديانة السومرية"، وهذا ما صعّب علي دراسة بعض النواحي من الموضوع.

* صعوبة الحصول على المصادر المتعلقة بالموضوع، مما جعلني اعتمد بشكل كلي على نسخ الكتب على جهاز الكومبيوتر، والذي يتعب الدارس كثيراً، وعدم معرفتي واتقاني للكتابة المسمارية.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن احمد الله أولا وأخيرا على توفيقه هذا العمل الشاق، والذي أتمنى أن أكون قد وفقت فيه للمساهمة ولو بقسط قليل في التأريخ لهذه الحضارة .

الفصل التمهيدي

الإطار الجغرافي والتاريخي

I- الإطار الجغرافي.

II- الإطار التاريخي.

لو تصفحنا تاريخ حضارة بلاد الرافدين لاستطعنا أن نكشف عن ماضيها وماضي شعوبها ،ونخص بالذكر الحضارة السومرية التي مثلت حقبة حافلة في تاريخ المنطقة، فمجيء السومريين إلى ارض الرافدين ،جعلت منهم قوة سياسية واقتصادية ، وهاته القوة كانت منبع قيام هذه الحضارة ،والتي بلغت من التقدم والإزدهار ما فاق غيرها في كثير من المجالات ، كما أن تأثير هذه الحضارة لم يقتصر فقط على المناطق المجاورة فحسب بل تعداها إلى كل الدول التي احتكت بها، خاصة بعد اختراعها للكتابة ، والى جانب هذا طبيعة نظامها السياسي، والذي عرف عند الفينيقيين والإغريق باسم نظام الدولة المدينة.

I- الإطار الجغرافي:

1- جغرافية سومر:

تقع منطقة سومر في الوادي الأسفل لنهري دجلة والفرات[1]، وإلى جنوبها وغربها تقع الصحراء العربية والخليج الفارسي، الذي كان يمتد في تاريخ سومر المبكر شمالي مجاورات اريدو[2]. إلى أن ينفصل المجريان عند بلدة القرنة الحديثة ، وبالإتجاه نحو الغرب من نهر الفرات ، ويوجد في شماله وجنوبه المدن السومرية القديمة وهي : اريدو "أبو شهرين الحديثة"، وأور [3]" المقير الحديثة"

(1) – دجلة والفرات: اتخذ اسم دجلة من الإسم الأكدي "ايديجلا" او "إيديجلا" ثم كما جاء ذكره في النصوص باسم السومرية "أوكنا"، "دجنا" بمعنى سريع، أما الفرات فتعني الماء العذب، مشتق من الإسم الأكدية " بوارتي" أو "بوراتوم"، المرادف للإسمفي النصوص السومرية " بوراتن" أو "بورونتا". أنظر: حسين محمد محي الدين السعدي، **في تاريخ الشرق الأدنى القديم** – العراق إيران آسيا الصغرى، ج2، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002. ص 34، 35 .

(2) – احمد أمين سليم, **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم** , دار النهضة العربية , بيروت,1989. ص249.

(3) – أور:إحدى أهم المدن السومرية التي نالت شهرة وكانت مركزا لثلاث من السلالات السومرية الحاكمة وازدادت في أهميتها عهد سلالتها الثالثة (2113-2006ق.م)وكانت من أهم مراكز عبادة الإله (سين) اله القمر.والتي تعرف بقاياها حاليا باسم (المقير). انظر:عامر عبد الله الجميلي ،**أسماء المدن والمواقع الجغرافية المتشابهة لفظا والمختلفة في موقعا في النصوص المسمارية**، مجلة آداب الرافدين، العدد 54، جامعة الموصل، الموصل ،2006 .ص 07.

، و أورك المسماة "أرك " في التوراة والمعروفة الآن باسم الوركاء [1]، ولارسا والمسماة في التوراة باسم "الإسار"، والمعروفة الآن باسم سنكرة، و لكش " سيبرلا الحديثة" ، ونيبور "نفر"،[2] ويتبع بعدئذ نهر الفرات في سيره نحو الشمال الغربي إلى بابل [3] التي كانت أشهر بلاد الجزيرة " أرض ما بين النهرين" ، في حين تجد في شرقها مباشرة بلدة كيش مقر أقدم ثقافة عرفت في هذا الإقليم ، وعلى بعد قرابة ستين كم يوجد مقر أغاد[4] بمملكة أكد. [5]. (انظر الملحق: 1، ص 96).

وقد عرف القسم الجنوبي في بداية العصر التاريخي في العراق القديم " باسم أرض سومر و أكد" ،وتعني "أرض سومر" نصفه الجنوبي الممتد حتى الخليج العربي، أما "أرض أكد" فهي نصفه الشمالي الذي يصل إلى حدود بغداد. وفي بداية الألف الثاني ق.م، عرف هذا القسم باسم "أرض بابل" نسبة إلى عاصمة الأموريين ،وظلت هذه التسمية على المنطقة بعد ذلك.

ويمثل القسم الجنوبي "المعروف بأرض سومر" من أرض النهرين، سهلا فيضيا كونته ترسبات هذين النهرين ،ويتميز بالرطوبة لكثرة المسطحات المائية إذ يقترب فيه مجرى نهري دجلة والفرات، بدرجة كبيرة ،كما تنتشر به المستنقعات والأحراش، فضلا عما يتعرض له من فيضانات عنيفة.

---

(1) – الوركاء : تقع في منطقة صحراوية شرقي الفرات في منتصف المسافة بين بغداد والبصرة تقريبا، واسمها بالأكادية، " أوروك" وفي التوراة التي نسبت بناءها إلى "نمرود" دعيت" أرك"، ويعد الفخار أهم إنتاج الوركاء المبكر وهو من أنواع مختلفة شكلا ولونا ،كما تميزت هذه المرحلة المبكرة بإنتاج عدد أوفر من الأدوات النحاسية في جنوب العراق ، على أن القسم الشمالي من حضارة الوركاء إنما قد تفوق بدرجة كبيرة من المصنوعات المعدنية التي لم تقتصر على النحاس ، وإنما تضمنت أيضا الذهب والأحجار الكريمة وشبه الكريمة وغيرها، والتي استخدمت في أدوات الزينة. انظر: محمد بيومي مهران ،**المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم** ،ج2،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية،1999. ص185 .

(2) – ويل ديورانت , **قصة الحضارة "حضارة الشرق الأدنى"** ، تر: محمد عبد الرحيم, ج1 ، دار الجيل، لبنان(دت). **،ص03**

(3) – بابل: تقع هذه المدينة على بعد تسعين كيلومترا جنوب بغداد على الطريق الرابط بين الحلة والعاصمة، فقبل الوصول إلى التل العالي المعروف ببابل يقع سور المدينة الخارجي، أما عن الاسم السامي لبابل فيعني "باب ايلو" ومعناه باب الاله او الآلهة.انظر: طه باقر، **بابل وبورسيبا** ، ط1، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1959. ص02.

(4) – ويل ديورانت , المرجع السابق ، ص03.

(5) – أكد: هي المدينة التي أسسها سرجون الأكادي (2370-2315ق.م) لتكون عاصمة لدولته، وكانت تسمى في الاكدية "أكد" أو "اكادو"، وفي السومرية "أجاد" أو "أجادة" وهو الاسم القديم للمدينة، وتقع أكد على مقربة من كيش في جنوب العراق ، وقد ظلت "أكد" عاصمة للدولة التي عرفت باسم (الدولة الاكدية) حتى قضى عليها الجوتيون.انظر: محمد بيومي مهران، المرجع السابق ، ص193 .

وتتجه بعض الدراسات إلى تقسيم طبيعة هذا القسم الجنوبي إلى المناطق التالية:

أ/ منطقة مصب النهر في أقصى الجنوب،وتمتد من منطقة إلتقاء النهرين حتى الخليج العربي، وتمتاز هذه المنطقة بتوفير الإنتاج الزراعي الذي لا يتطلب جهدا ، وتتوفر بها المياه التي تروي حياضها.ويفترض أن هذه المنطقة كانت أولى مناطق الاستقرار في جنوب العراق القديم.

ب/ منطقة الأحراش، وهي إلى الشمال من المنطقة السابقة وتشغل المجريين الأدنيين للنهرين، و تنخفض ارض هذه المنطقة مما يؤدي إلى ارتفاع منسوب المياه فيها ويجعلها تغص بالأحراش والمستنقعات ،والإنتاج الزراعي في مثل هذه المنطقة يتطلب جهدا كبيرا.

ج/ منطقة الدلتا، وتشغل معظم القسم الجنوبي لأرض النهرين، ويخترقها العديد من القنوات كما تغمرها الفيضانات السنوية للنهرين عادة. ورغم توفر ري حياض هذه المنطقة، إلا أن العمل الزراعي يتطلب بعض الجهد الجماعي، وخاصة لمقاومة خطر الفيضان.

د/ منطقة السهل ،وهي إلى الشمال من الدلتا ويقترب فيها مجرى نهري دجلة والفرات إلى أدنى حد. وتتعرض هذه المنطقة لأعنف الفيضانات التي تصل غالبا إلى حد التدمير ،وتتميز بارتفاع أرضها عن المناطق السابقة ، وتعرض أحواضها إلى للجفاف ، وخاصة في فصل الصيف.

ويتبين من هذا التقسيم، تعرض القسم الجنوبي لأرض النهرين لخطر الفيضانات ،مدى الصعوبة التي تواجه الاستقرار الزراعي فيه. فقد كان يلزم لإقامة زراعة دائمة في هذا القسم الجنوبي تجفيف المستنقعات وشق القنوات وتطهيرها من الترسبات وإقامة الجسور لدرء خطر الفيضان. [1]

(1) – محمد عبد اللطيف محمد علي , **تاريخ العراق القديم** , مكتبة الإسكندرية ، الإسكندرية ،1977. ص ص12-15.

II- الإطار التاريخي:

1- التسمية و أصل السومريين:

يعد السومريون من أقدم الأقوام التي قطنت بلاد الرافدين وقد استطاعوا وضع لبنات الحضارة الأولى في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين الذي عرف (ببلاد سومر).

وقد اشتق اسم السومريين من الاسم القديم للقسم الجنوبي من العراق "سومر"، وقد ورد في النصوص المسمارية تحت لفظة "كي-آن –كي KI-EN-GI "[1].

وقد اختلف المؤرخون في أصل السومريين، ولا يزال ذلك الأمر مشكلة يختلف بشأنها العلماء حتى أصبحت تسمى باسم "المسألة السومرية". إلا أن الشيء المتفق عليه هو أنهم ليسوا من الساميين ،وليست لهم أية صلة بالقبائل السامية التي كانت تنزل في العراق [2].وفي هذا الصدد قدم العلماء العديد من الافتراضات بشان أصل السومريين والتي يمكن إيجازها فيما يلي:

فهناك من المؤرخين من يرى أنهم انحدروا من الأقوام التي قطنت العراق في عصور ما قبل التاريخ وهي العصور التي سبقت عصر فجر السلالات ، وأنهم عرفوا باسم السومريين في الأزمنة التاريخية نسبة إلى الجزء الخاص من العراق الذي تمركزوا فيه، وهو القسم الجنوبي الذي سمي باسم "شومر" أو "سومر" . [3]

ويتجه رأي إلى الربط بين السومريين و بين العيلاميين الذين استقروا في شرقي الحوض الأدنى لنهر دجلة ،لأن الأواني الفخارية التي عثر عليها من مخلفات الشعبين جد متشابهة. [4]

أما صموئيل كريمو فحسب رأيه في كتابه " من ألواح سومر": أن السومريين كانوا قوما ليسوا من الأقوام السامية ، ولغتهم غريبة لا تشبه اللغات السامية ، بل هي من اللغات غير السامية، وأنهم ازدهروا بثقافتهم في القسم الجنوبي من العراق منذ حدود منتصف الألف الرابع ق.م. [5]

---

(1) – شيماء ماجد الحبوبي، **جوانب من الحضارة السومرية**، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الأول ،بغداد ،2012. ص354 .

(2) – عبد الرزاق الحسني، **العراق قديما وحديثا** ، ط3 ،مطبعة العرفان ، لبنان ،1958 . ص12 .

(3) – احمد أمين سليم, المرجع السابق ، ص250، 251.

(4) – حلمي محروس إسماعيل، **الشرق العربي القديم وحضارته** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية،1997. ص10.

(5) – صموئيل نوح كريمو ، **من ألواح سومر** ، تر:طه باقر ،مكتبة المثنى ، بغداد، 1956. ص08.

ويرى البعض الآخر من الباحثين أن السومريين قدموا من هضاب ومرتفعات أواسط آسيا، وأنهم سلكوا طريقا باتجاه إيران جنوبا حتى استقروا في جنوب العراق .ودليلهم على المسلك الإيراني هذا تشابه فخار العبيد[1] الملون في العراق وإيران . [2]

وهناك رأي آخر ذهب إلى اعتبار السومريين بدو مما وراء – القوقاز أو مما وراء بحر قزوين، واندفعوا إلى مناطق غرب إيران فيما يعاصر أيام العبيد أو أوائل الوركاء.

وافترض رأي آخر أن السومريين هاجروا من منطقة تقع فيما بين شمال الهند وبين افغانستان وبلوخستان، واستقروا بعض الزمن في غربي إيران ثم نزحوا منها إلى بلاد النهرين عن طريق الخليج العربي وجزره البحرية .وأضاف أصحاب هذا الرأي فرضهم بما لوحظ من تشابه أوائل طرز الفخار السومري القديم وزخارفه في بلاد النهرين مع نماذج الفخار القديمة التي انتشرت جنوبا حتى منطقة "خاربا"و "موهنجودارو" بسهل السند. [3]

2– مراحل التاريخ السومري:

ا– مرحلة الظهور:

مع ظهور حضارة أوروك" الوركاء"، بدا ظهور السومريين يتضح في العراق، ومع هذا العصر بدأت الحضارة في جنوب العراق تنعطف نوعيا خصوصا وأن حضارة العبيد كانت قد انحلت تماما ، فقد بدأ الفخار بأنواعه الثلاثة بالظهور "الأحمر والرمادي والعادي" أولا كدلالة على تغيير مزاج وذوق الناس الذين يستعملون هذه الأدوات الفخارية في حياتهم ، وبدأت معابد المصطبات بالظهور والإنتشار، وفي حدود 3200ق.م، ظهرت أول أشكال الكتابة التصويرية في معابد أوروك. [4]

وقد أطلق على الأدوار الرئيسية لهذه المرحلة تسميات اصطلاحية تقليدية مثل دور العبيد، دور أوروك أو الوركاء، ودور جمدة نصر.(نسبة إلى الأماكن الرئيسية التي تمت فيها التنقيبات).

---

(1) – العبيد: تقع على مبعدة بضعة كيلومترات إلى الغرب من الناصرة ، تتميز حضارة العبيد أنها أول حضارة تنتشر في الشمال والجنوب رغم كونها جنوبية الأصل ،وقد ظهر إنتاجها في كثير من المجالات مثل: صناعة الأواني الفخارية الملونة والمزينة. انظر: محمد بيومي مهران، المرجع السابق ،ص188.

(2) – خزعل الماجدي ، **متون سومر** ، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمّان ،1998 . ص30.

(3) – احمد أمين سليم، المرجع السابق ، ص252.

(4) – خزعل الماجدي ، المرجع السابق، ص38 .

بالنسبة لحضارة دور العبيد ، فقد امتاز باستعمال الأدوات الحجرية وجزئيا الأدوات الفخارية [1]،حيث يمتاز فخار هذا الدور بشدة حرقه حتى تكتسب طينته لونا أخضر وتصبح صبغة خضراء [2]. ووجدت فؤوس من النحاس المطروق وغيرها من الأدوات النحاسية .ولكن بكميات قليلة جدا. كما يلاحظ أيضا الانتقال من حياة الصيد والسماكة إلى الزراعة البدائية وتربية الحيوانات.كذلك ساد على نطاق واسع استعمال الأواني الفخارية المزينة بالرسوم والزخارف. [3] وهذه الرسوم تحمل طابع هندسي ملون باللون الأسود[4].

وفي دور الوركاء التالي (النصف الثاني من الألف الرابع ق.م) تظهر لأول مرة في تاريخ العالم دواليب العجلات التي تجرها الحمير ،كما تستعمل أيضا القوارب النهرية. أما الأواني الفخارية في هذا الدور فتصنع بإعداد ضخمة بقصد التجارة، ولكن على حساب النوعية إذ لم تزين بالرسوم الملونة. كذلك تظهر مباني كبيرة من الآجر ونوع من العمارات المدرجة[5] أطلق عليها اسم " الزيقورات"،وتم كذلك اختراع الأختام الأسطوانية ،وكانت عبارة عن أختام نقشت عليها صور ورسوم بهيئة معكوسة[6] (انظر الملحق: 2، ص 97)، ومن أهم ما توصل إليه إنسان هذا الدور هو الكتابة ولعلها ولعلها كانت المحاولة الأولى عند أهل الأرض في هذا الصدد، حيث استطاع بدوره أن يعبر عن الشيء برسم صورته[7] واصطلح على هذه الكتابة "بالكتابة المسمارية" لاعتمادها على وحدات كل منها يشبه المسمار[8] .

أما في دور جمدة نصر (مطلع الألف الثالث ق.م)، فيلاحظ تطور أكثر في الإنتاج والحضارة، إذ تدل مخلفات تلك الفترة على انتشار استعمال النحاس بشكل أوسع(رغم أن الأدوات الحجرية ظلت منتشرة الإستعمال)، وكذلك بناء المدن وتقوية العلاقات مع البلدان المجاورة (عيلام، شبه الجزيرة

(1) – نعيم فرح , **موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم** , دار الفكر ، دمشق ،1972. ص 22.

(2) – عبد الحميد زايد , **الشرق الخالد**, دار النهضة العربية ، القاهرة ،1966 . ص 28.

(3) – نعيم فرح , المرجع السابق ، ص 23.

(4) – إبراهيم رزقانة وآخرون , **حضارة مصر والشرق القديم** , دار مصر للطباعة ، مصر ،(دت). ص258.

(5) – نعيم فرح , المرجع السابق ، ص 23.

(6) – عبد الحميد زايد , المرجع السابق, ص 29.

(7) – فاضل عبد الواحد علي , **الخط المسماري واللغة الاكدية**، قسم الآثار ،جامعة بغداد ،بغداد ،(دت). ص193.

(8) – حسن ظاظا , **الساميون ولغاتهم**،ط2 ،دار القلم ، دمشق، 1990. ص26.

العربية ،سورية)، وإتقان الكتابة التصويرية [1] ،التي لا تزال في مرحلتها الأولى، وكانت تستخدم في تدوين أمور بسيطة[2].

كانت الحياة الإجتماعية والإقتصادية تشير إلى تبدلات نوعية كبيرة. وانتشر فن النحت ونقشت الألواح بالحجر، وصنعت الأختام الاسطوانية ، وكان فن العمارة راقيا جدا فقد زينت واجهات المعابد بنقوش متنوعة، منها معبد (آن) في أوروك، ومعبد العقير . والبعض الآخر زُين بالفسيفساء المتكون من مسامير ملونة من الفخار أو الحجر.

وبعد ثقافة أوروك السومرية الأولى بدأت ثقافة جمدة نصر السومرية الثانية التي تصاعدت فيها الإنجازات السومرية ،وتقدمت فنون الحضارة السومرية وتأسست اغلب نواميسها، ويذكر أنه قد عثر فيها على مسلة صيد الأسود ومجموعة من الأختام المسطحة والأسطوانية، وتطورت الصناعات المعدنية كثيرا[3]،كما تحسن نظام الري والسيطرة على المياه إلى غير ذلك من المقومات الحضارية[4].

أما الكتابة فقد انتقلت من طورها الصوري إلى الطور الرمزي حيث أصبح يمكن التعبير عن الأشياء والأفكار المتعلقة بها، أو التي يمكن أن توحي بها،كاستخدام العلامة الدالة على الشمس للتعبير عن معان مشتقة مثل(لامع، ساطع ،مشرق..) وبالمثل للتعبير عن كلمة (يوم)لأن شروق الشمس وغروبها يمثلان يوما[5]، وأيضا رسم الهلال أو القمر يعني الشهر[6].

وتطورت الكتابة المسمارية بعد ذلك وأصبح استعمال العلامة ليس للتدليل عما تمثله، بل أصبحت تستعمل كحروف نطق، فعلى سبيل المثال "السهم" استعمل أولا للتدليل على أداة القتال، ثم استعمل نطقها "تي" للتدليل على " الحياة"، وهي كلمة تنطق في لغتهم "تي" أيضا،وللتفرقة بين المعنيين أردفوا علامة السهم "تي" بمخصص هو قطعة من الخشب للتدليل على أن الكاتب يقصد "

(1) – نعيم فرح , المرجع السابق ، ص 23.

(2) – عبد الحميد زايد , المرجع السابق, ص 33.

(3) – خزعل الماجدي , المرجع السابق , ص38 .

(4) – طه باقر, **مقدمة في أدب العراق القديم** ,دار الحرية للطباعة، بغداد، 1976 . ص14 .

(5) – فاضل عبد الواحد علي , المرجع السابق ، ص193.

(6) – سليمان بن عبد الرحمان بن محمد الذيب , **الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية** , الدار العربية للموسوعات، الرياض، 2006 .ص31 .

السهم" المصنوع من الخشب وليس "الحياة". وتمتاز الكتابة المسمارية بأنها عرفت الحروف المتحركة، وهذا مما يسهل على القارئ نطق الكلمات. (انظر الملحق3: ص 98) .

إن ما يميز الكتابة التي أوجدها السومريون في وادي الرافدين هو اعتمادهم على مادة خاصة[1]، وهي الطين المادة الأساسية المتوفرة لديهم، وقد كتبوا على الحجر وعلى مواد أخرى [2]، وكانت الكتابة تبدأ في الركن الأيسر العلوي، وترتب في خطوط أفقية تقرا من اليسار إلى اليمين [3].

ومن المعروف أيضا أن الخط المسماري لم ينحصر استخدامه في بلاد وادي الرافدين، بل خرج من موطنه الأصلي وانتشر إلى مناطق أوسع، فتأثرت به الأقوام التي عاشت على أطرافه والبعيدة منه فاقتبست الكثير منه[4]، وهناك من الأدلة ما يدل على ذلك، فبعد قرنين تقريبا من ظهور الكتابة في في بلاد سومر في حدود 3200ق.م ،ظهر في مدينة سوسا عاصمة عيلام المجاورة ما يعرف بين المختصين " الخط العيلامي القديم" الذي يعود تاريخه إلى جمدة نصر ، وقد تم العثور على نماذج من هذه الكتابة مدونة على مئات من ألواح الطين والتي على ما يظهر أنها نصوص اقتصادية، كما انتشر الخط المسماري أيضا في مدينة ايبلا في شمالي سوريا .حيث وجدو أرقام طينية مدونة بالخط المسماري ،يعود تاريخها إلى عصر فجر السلالات الثالث أي إلى حدود (2400 –2300ق.م).

وانتشر الخط المسماري من بلاد آشور إلى آسيا الصغرى في مستهل الألف الثاني ق.م (في حدود 1950).بدليل العثور على ما يزيد على ثلاثة ألاف رقيم مسماري في المستعمرة التجارية الأشورية .ومنه صار الخط المسماري وسيلة التدوين المتعارف عليها في منطقة واسعة من الشرق الأدنى القديم [5].

وشهدت مرحلة الظهور السومري تأسيس المدن السومرية الكبرى ،وظهرت في هذه المدن حكومات وأنظمة سياسية ودينية متطورة [6].وهي:أور ، أوروك، اوما،كيش، لجش، لارسا، ماري، اريدو[1].

---

(1) – سعيد إسماعيل علي , **التربية في حضارات الشرق القديم** ,عالم الكتب ، القاهرة، 1999 . ص 121.

(2) – فاضل عبد الواحد علي , المرجع السابق ، ص194.

(3) – سبتينو موسكاتي , **الحضارات السامية القديمة** ,تر:السيد يعقوب بكر، دار الرقي،بيروت ، 1999 . ص 64.

(4) – صباح اسطيفان كجه جي , **الصناعة في تاريخ وادي الرافدين** , (دن)، (د م ن) ، 2002 . ص 12.

(5) – فاضل عبد الواحد علي , المرجع السابق ، ص196.

(6) – خزعل الماجدي , المرجع السابق , ص42 .

ب- مرحلة دول المدن السومرية:

لم يهدف السومريون من تدوين أعمالهم تقديم تاريخ مترابط ومفهوم عن بلادهم بل كانت تسجيلاتهم لأغراض دينية واقتصادية[2] ، وعليه يمكن تقدير بداية هذه المرحلة في الفترة الممتدة من حوالي 3000 إلى 2370ق.م ، وذلك استنادا إلى قائمة الملوك السومريين بعد الطوفان.

وقد امتازت هذه المرحلة بالتنظيم السياسي القائم على أساس حكومات المدن الذي يجعل لكل مدينة استقلالها الذاتي في حكومته،ومن أولى المظاهر التي تعبر عن هذا التنظيم السياسي تواجد جمعية عمومية لجميع المواطنين في المدينة ووظيفتها الإجتماع في أوقات الحاجة للخوض في الموضوعات التي تهم المدينة بأسرها كإختيار كبار المسؤولين في الحكومة واتخاذ قرارات الحرب.

وتفيد قائمة الملوك السومرية انه بعد الطوفان أنزلت الملكية مرة أخرى من السماء على مدينة كيش ومنها انتقلت إلى غيرها من المدن السومرية على التوالي، وبلغ عدد الأسرات الحاكمة لهذه المدن قبل قيام أسرة أكد أربع عشرة أسرة،كانت أولها أسرة كيش الأولى وآخرها أسرة الوركاء الثالثة[3].

وبلغ عدد ملوك أسرة كيش الأولى ،اثنان وعشرون ملكا ، ومن الملاحظ أن من بين هؤلاء الملوك 12 ملكا أسماؤهم سامية،6 أسماؤهم سومرية ويرى بعض المؤرخين أن ما ورد عن هذه الأسرة ليس بأكمله أسطوريا بل بعضه تاريخي،كذلك تذكر هذه القائمة أن آخر ملوك كيش" أجا"[4]، دخل هذا الأخير في حروب مع جلجامش[5] خامس ملوك الوركاء وكانت من نتيجة هذه الحروب انتقال الملكية إلى أسرة الوركاء ثم انتقلت بعد ذلك إلى مدينة أور بعد أن هزمت الوركاء[6].

---

(1) – يوسف حبي , **الإنسان في أدب وادي الرافدين**، دار الجاحظ، بغداد، 1980 . ص46 .

(2) – محمد عبد اللطيف محمد علي , المرجع السابق ، ص 189.

(3) – احمد أمين سليم, المرجع السابق ، ص255، 256.

(4) – محمد أبو المحاسن عصفور, **معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم**،مطبعة المصري، الإسكندرية ،1968 .ص348.

(5) – جلجامش: هو ملك المدينة الشقيقة لاوروك (الوركاء)، عرف بملحمته الأدبية الشهيرة "ملحمة جلجامش" والتي كتبت بالكتابة المسمارية.انظر:

Éliane Lopez, **L'histoire des civilizations** , Groupe Eyrolles , Paris , 2008 . P40.

(6) – احمد أمين سليم, المرجع السابق ، ص257.

وتأتي بعد ذلك الأسرة الأولى لمدينة "أور" ،وقد كشفت أعمال الحفر والتنقيب التي قامت بها بعثة المتحف البريطاني عن حضارتها، ومدى تقدمها وان هذه المدينة استطاعت تحت حكم أول ملوكها "مس-أني-باردا"،أن تفوز بسيطرة كاملة على جيرانها، وان أربعة من أولاده وأحفاده كانوا معه، هذه الأسرة التي حكمت حوالي أوائل القرن الثلاثين قبل الميلاد.

ولعل "لجش" كانت من اكبر منافسي "أور"،ودلت نتائج الحفر فيها على أنها بلغت حدا من التقدم يجعلها تقف على قدم المساواة مع زميلتها "أور".وتاريخ دويلة "لجش" يبدأ بملكها القوي "أور-نينا" الذي اشتهر بأعماله السلمية ،فتذكر الوثائق على أساس انه اهتم بترميم الأسوار وإعادة بناء المعابد والعمائر العامة الأخرى ،ويقيم التماثيل للآلهة واخذ يشق القنوات لتنظيم عمليات الري ،وكان حكمه يمثل أزهى عصور مدينة "لجش"[1].

واتى بعده ابنه "ياناتوم" حيث قامت في عهده الحرب بين لجش و أوما[2] بسبب تحديد الحدود ومياه الري ،ويبدو أن المعركة كانت بالغة العنف وأن النصر تم للجش، ويبدو أن أهل أوما لم يستكينوا داخل أسوارهم بل خرجوا للقاء ملك لجش ليمنعوه من اجتياح مزارعهم ومراعيهم .

وبعد الانتصار في السهل تقدم ملك لجش نحو الأسوار واستطاع أن يقتحمها فسقطت المدينة تحت سيطرته، فاعمل فيها السيف في إبادة كاملة ثم جمع جثث القتلى من رجاله وترك القتلى من الأعداء في العراء إلا من وجده يشغل الطريق ،فألقى به خارج الأسوار فريسة للطيور الجارحة والحيوانات الضارية، ومن هنا سميت هذه اللوحة بلوحة العقبان، وقد فرضت الجزية على أوما وعدلت الحدود لصالح لجش[3].

لقد دفع هذا الإنتصار الباهر "ياناتوم" إلى استئناف القتال مع عدد من الدويلات السومرية، فانتصر على أور، وأوروك،وكيش، وهكذا توج ملكا على سومر. ولكن هذا الانتصار لم يدم طويلا إذ سرعان ما قامت "أوما" بثورة وخرجت تطلب الثار وانتهى الأمر بالقضاء على "ياناتوم" الذي لم يخلف ولدا وتولى بعده أخوه ثم آخرين إلى أن استطاع رجل مصلح اسمه

(1) – إبراهيم رزقانة وآخرون , المرجع السابق، ص271.

(2) – اوما: تقع على مبعدة 30 كلم شمالا غرب لجش، وتعرف هذه المدينة حاليا باسم جوخة انظر: محمد بيومي مهران، المرجع السابق ، ص191 .

(3) – احمد أمين سليم, المرجع السابق ، ص258.

"اوركاجينا"[1] من أن يسيطر على "لجش" ثم على المدن السومرية كلها، وشرع بعد ذلك في تنظيم أحوال البلاد [2]،ووجه همه إلى الإصلاحات الداخلية في عهده القصير الذي لم يزد عن ثمانية أعوام، فتعمد أن يحد من تدخل الكهان [3] الذين كانوا قد سيطروا على كل شيء في المدن واستباحوا أموال الشعب فخفض من قيمة الإتاوة التي كانوا يتقاضونها في سبيل أداء طقوسهم الدينية في المعابد، كما منعهم من اقتسام دخل المعابد مع كبار الموظفين واستغلال أوقافها ،كما أعاد بناء معابد "لجش"الهامة.

ظن "اوركاجينا" أن الأمر قد استتب له وأن السلم قد ساد البلاد ،ولكن مدينة "أوما" كانت له بالمرصاد فاستأنفت القتال تحت قيادة رجل اسمه " لوجال زاجيزي"[4] فاجتاحوا " لجش" سافكين للدماء محطمين كل ما وقع تحت أيديهم فتحطمت "لجش"[5].

وبعد ذلك نقل "لوجال زاجيزي"مقر ملكه إلى مدينة أوروك، فتمكن من مد سلطانه على بلاد سومر كلها[6].

ج- مرحلة الدولة السومرية:

كان عصر دول المدن السومرية في جزءه الأخير قد شهد توترا سياسيا ، لكن مع ظهور ملك أوما القوي "لوجال زاجيزي" الذي قضى على سلالة لجش في زمن آخر ملوكها "اوروكاجينا" ،

---

(1) – اوروكاجينا: هو أحد ملوك مدينة لجش حوالي 2350ق.م اشتهر بإصلاحاته الاجتماعية والاقتصادية لصالح الضعفاء سجل ذلك على ألواح اكتشفت في أطلال مدينة لجش عام 1878م,تلخصت في تخفيض الضرائب التي كانت تجبى عامة الناس لصالح الحاكم وحاشيته, والتي فرضها الكهنة على بعض المعاملات كالزواج والطلاق والدفن .ولم يدم حكم اوروكاجينا أكثر من ثماني سنوات بعد تواطؤ طبقة الأغنياء والكهنة مع حاكم مدينة أوما لوجال زاجيزي الذي تمكن من احتلال لجش وقتل اوروكاجينا . انظر:ف.دياكوف و ف.كوفاليف, **الحضارات القديمة**, تر: نسيم واكيم البازجي ،ج1 ,ط1,دار علاء الدين ,دمشق، 2000. ص 89 .

(2) – إبراهيم رزقانة وآخرون , المرجع السابق ، ص272.

(3) – عبد العزيز صالح , **الشرق الأدنى القديم– مصر والعراق–**,ط2 , مكتبة الانجلو مصرية, القاهرة, 1980. ص399.

(4) – لوجال زاجيري: ملك من سلالة أوروك الأولى(الألف الثالث ق.م)، أصله من مدينة اوما، أباد السلالة الملكية في لجش وادعى أنه بسط سلطته من الخليج العربي حتى البحر الأبيض المتوسط ،ودام حكمه خمسة وعشرين عاما .انظر: هنري س .عبودي, **معجم الحضارات السامية** , ط2، جروس برس, لبنان, 1991 . ص 748 .

(5) – إبراهيم رزقانة وآخرون , المرجع السابق ، ص272.

(6) – حلمي محروس إسماعيل المرجع السابق ، ص13.

إضافة إلى تعنته السياسي جعله يندفع باتجاه المدن السومرية الأخرى ،فحكم أوروك ثم سقطت المدن السومرية بيده واحدة تلو الأخرى، حتى لقب نفسه "ملك سومر" وتأسست بذلك مملكة أو دولة سومرية واحدة هي الأولى من نوعها في التاريخ وذلك في حدود (2400-2371ق.م)[1].

فبعد أن حقق لوجال زاجيزي مشروعه المتمثل في توحيد المدن السومرية ، حاول أن يمدد نفوذه فوصل في غاراته حتى الخليج العربي في الجنوب وحتى سورية في الشمال ،حيث دون على إناء للإله انليل في نيبور أن غزواته شملت كل بلاد النهرين وسورية [2].

لكن رغم فرض سيطرة لوجال زاجيزي على مناطقه التوسعية إلا أن إمبراطوريته هذه كانت سريعة الزوال على يد الأكاديين. ذلك أن نضاله من أجل الاستيلاء على القسم الشمالي من بلاد النهرين الذي تقطنه قبائل سامية كان فوق طاقته، فبعد أن استطاع اجتياح مدينة كيش قام أمير من أمرائها يدعى "سرجون"[3] فاستلم السلطة (في نهاية القرن الرابع والعشرين ق.م) بعد ملكه المهزوم وترأس النضال ضد المحتلين السومريين، كما أسس عاصمة جديدة وهي مدينة "أكد" التي سميت باسمها دولة الأكاديين وراح يجهز الجيوش للقضاء على السومريين.

وتألف القسم الأكبر من جيش سرجون الأكادي من رماة السهام الماهرين الذين كانوا أسرع حركة أو أكثر قدرة على المناورة من الجيش السومري، وكذلك لعب دورا كبيرا في ضعف السومريين استياء جماهير واسعة من الشعب لتسلط النبلاء والأشراف الذين بدءوا يرفعون رؤوسهم من جديد بعد عزل الملك اوروكاجينا صاحب الإصلاحات الاجتماعية [4].

فبعد أن تولى "سرجون الأكادي" الزعامة كانت الحرب قائمة في الجنوب بين مدينة "أوما" تحت قيادة ملكها القوي "لوجال زاجيزي" وبين مدينة "لجش" وانتهت بانتصار ملك أوما وتكوينه دولة مترامية الأطراف.

---

(1) – خزعل الماجدي , المرجع السابق ، ص50.

(2) – احمد أمين سليم , المرجع السابق ، ص259.

(3) – سرجون:هو مؤسس الدولة الأكادية، واسم سرجون هو تحريف للاسم الذي اعتلى به العرش وهو شروكين الذي يفيد معنى " الملك الصادق" أو" الملك الشرعي" كمشيد لمدينة أكد التي انتقلت إليها الملكية بعد قهر مدينة الوركاء "، وربما اختار هذا المكان باعتباره من المراكز الرئيسية لعبادة عشتار التي إعتبرها راعيته منذ صغره. انظر: احمد أمين سليم، المرجع السابق ،ص 266.

(4) – نعيم فرح, المرجع السابق ، ص25، 26.

وهكذا وقف "لوجال زاجيزي" يترقب الخطر الذي يحيط به، ولكن"سرجون" لم يوجه اهتمامه إلى الجنوب ،وإنما اتجه بنشاطه الحربي نحو الشمال حيث يكمن الخطر الأول على كيانه وهو خطر القبائل التي تسكن الجبال الشمالية الشرقية (جبال زاجروس) أي (قبائل الجوتيين[1]).

وبعدها تقدم نحو الشمال إلى منطقة "ماري" وغزا مدينة "آشور"[2] واستولى على سهل "سوبارتو"،ثم اتجه نحو قبائل "الجوتيين" في مناطقهم الجبلية وهزمهم وأمن جانبهم.

بعد أن انتهى "سرجون" من إخضاع الشمال وجه جهوده نحو الجنوب وسار نحوه متتبعا شاطئ نهر دجلة وهاجم " لوجال زاجيزي" وما كاد ينتصر عليه حتى أخذت مجموعة المدن السومرية تخضع له وتسارع الواحدة منها بعد الأخرى تقدم له فروض الطاعة لاسيما وأنه عاملهم معاملة طيبة إذ احترم آلهتهم، وأعاد بناء معابدها التي دمرتها الحروب ،كما قدم القرابين للمعبودات المختلفة.

وهكذا أخذ سرجون يخضع البلاد شرقا وغربا شمالا وجنوبا وأسس أول إمبراطورية واسعة الأطراف في بلاد العراق القديم ، وظل يحكمها قرابة 55 عاما وحيكت حوله الأساطير فهيأت للأجيال اللاحقة له أن تجعل منه إلها كبيرا. ولكن هذا الرجل الذي لم يذق طوال حياته طعم الهزيمة والذي كان ينتقل من نصر إلى نصر مات ونار الثورة ضده كانت متأججة في جميع أنحاء إمبراطوريته [3].

---

(1) – قبائل الجوتيين: هم قبائل جبلية كانت تستوطن المنطقة الوسطى من جبال زاجروس، وقد ورد ذكرهم في النصوص، المسمارية باسم "Gu-ti-um"، دام حكمهم بحسب جداول الملوك السومرية بحدود قرن من الزمن . انظر: سعد عبود سمار، **الأحوال السياسية لـ"أوما"** من العصر الأكدي حتى نهاية حكم سلالة أور الثالثة، مجلة لارك، العدد 6، جامعة واسط، بغداد ،2011 . ص46 .

(2) – آشور:تقع آشور إلى شمال بابل وتبدأ من السهل المرتفع لميزوبوتاميا على ارتفاع قليل عن ملتقى الأدهم ودجلة وتشغل الجزء الأوسط حوض هذا النهر حتى كورنيب ويفصلها من ناحية الشرق الجزء الأوسط من الزاب الكبير وجبال زاجروس عن الكاسيين ويحدها شمالا ماسيوس.انظر: ل.ديلابورت، **بلاد ما بين النهرين – الحضارتان البابلية والأشورية**، تر:محرم كمال ،ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1997 .ص 243 .

(3) – إبراهيم رزقانة وآخرون , المرجع السابق ، ص287، 288.

تولى الحكم من بعد "سرجون" ابنه "ريموش" فكان عليه أن يحارب في كل جبهة فقام بمعارك ضد جيوش أور وأوما [1]،ويبدو أن ريموش خاض حربا أخرى ضد عيلام التي انتفضت من جديد أثناء إخضاعه للمدن السومرية المتمردة[2]، واضطر إلى أن يكافح ليستعيد السلم في أرجاء دولته الواسعة ولكنه ذهب ضحية مؤامرة حدثت ضده في العام التاسع من حكمه ،وخلفه في الحكم أخوه "مانشتوسو" الذي استمر في كفاحه محاولا الإبقاء على الدولة المترامية الأطراف الذي شيدها أبوه "سرجون".

ولقد حرص هذا الرجل على ألا تعتمد سياسته على الغزو فحسب ، بل تقوم أيضا على تحسين الأحوال الاقتصادية والعناية بشؤون السياسية الخارجية ،واستمر في تنفيذ خطته هذه مدة 15 عاما ،وهي فترة حكمه وخلفه من بعده ابنه "نارام–سين" الذي خلد اسمه في التاريخ بأعمال جليلة جعلته بحق حفيدا لسرجون.

حكم " نارام–سين" مدة تقرب من 30عاما [3]، تمكن أثناءها من توطيد أركان الإمبراطورية الواسعة [4]وإعادة الإستقرار في أطراف منها، التي آلت إليه مفككة تتأجج في جوانبها الثورات، ولعل شهرته الواسعة لم ترجع لأعماله العسكرية الواسعة النطاق فحسب ،بل ترجع أيضا إلى جهوده التي بذلها لدفع مظاهر حضارة أمته نحو الرقي، فعرف عنه أنه كان يشجع الفنون على اختلافها كما كان حريصا على تعمير دور العبادة وتشييد الجديد منها[5].

وفيما يتصل بسياسة "نارام–سين" الخارجية ،فقد كان أمامه في مطلع عهده خوض عدة معارك مع المناطق التابعة لأكد، فكعادة هذه المناطق في ثورتها في بداية عهد كل ملك جديد في أكد، فقد ثارت كل المدن التابعة له في الغرب والشمال والشرق.

---

(1) – ل.ديلابورت , المرجع السابق ، ص35.

(2) – حلمي محروس إسماعيل , المرجع السابق ، ص23.

(3) – إبراهيم رزقانة وآخرون , المرجع السابق ، ص288.

(4) – فراس السواح ,**الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم**، ط3، دار علاء الدين، دمشق،1997 . ص80.

(5) – إبراهيم رزقانة وآخرون , المرجع السابق ، ص288.

وفيما يتصل بالمناطق الغربية [1]،فقد تزعمت مدينة كيش حلفا تكون من 17أو20 حاكما، وامتدت بلاد هؤلاء الحكام من الأناضول في أقصى الشمال الغربي إلى ماجان (ساحل عُمان) على الشاطئ الغربي للخليج العربي،مما يعبر عن شمول هذا التمرد لكل الأراضي الواقعة غرب الفرات[2]. وتشير النصوص إلى قمعه لهذا التمرد بالإضافة إلى مده حدود دولة أكد إلى مناطق جديدة لم تصلها فتوحات ملوك أكد السابقين ، إذ تشير هذه النصوص إلى مده لنفوذ أكد حتى ساحل البحر المتوسط، حيث سيطر على الساحل اللبناني بالقرب من صور ، وكذلك على ميناء في الشمال السوري .

ويستدل من الأدلة الأثرية وكذلك الروايات اللاحقة لعهد "نارام–سين" أن العديد من مناطق دولته قد تعرض للتخريب من جراء هجوم قبائل الجوتيين ،ومن هذه المناطق أرض بابل ودلمون وماجان وملوخا وتل البراك ونينوى وآشور. ويذكر النص المعروف باسم "لعنة أكد" والذي يؤرخ ببداية الألف الثاني ق.م أن ذلك يرجع إلى غضب الآلهة على "نارام–سين" فخربت مدنه .ولقد تمكن "نارام–سين" من صد غارات القبائل الجوتية ،إذ استمرت دولته ولم يصبها الإنهيار إلا بعد نهاية حكم خلفه .

ولقد كان "نارام–سين" آخر ملك قوي من السلالة الأكدية، وقد عبر عن سعة ملكه ونفوذه في أحد الألقاب التي اتخذها وهو "ملك الجهات الأربع".

وخلف "نارام–سين" على عرش أكد ابنه "شاركالي شاري"، وطبقا لما ورد في قائمة الملوك السومرية فقد حكم لمدة خمسة وعشرين عاما. ومنذ بداية عهده ازداد خطر القبائل الجبلية في الشمال الشرقي ،كما تحررت عيلام من سيادة أكد وأنهت تبعيتها لها وارتباطها بها بموجب المعاهدة التي عقدت في عهد "نارام–سين" ، وعلى ذلك فقد هاجمت الجيوش العيلامية أرض بابل نفسها، ولقد تمكن الملك الأكدي "شاركالي شاري" من صدها.

بعد هذا الهجوم العيلامي كان على "شاركالي شاري" أن يواجه تمرد آخر في الشمال الغربي قام به الأموريون الموجدون في منطقة "باصار" في غرب دير الزور الحالية حيث قمع التمرد، وبعد ذلك تشير

(1) – احمد أمين سليم , المرجع السابق ، ص 275.

(2) – محمد عبد اللطيف محمد علي , المرجع السابق ، ص 280.

نصوصه إلى أنه قد وجه حملة ضد قبائل الجوتيون في الشمال الشرقي لدولته، وأنه قد انتصر عليهم انتصارا كبيرا واسر ملكهم.

لقد انتهى عهد "شاركالي شاري" نهاية مؤسفة مثله مثل بعض من سبقوه من ملوك أسرة أكد إذ قتل على يد أتباعه. وبنهاية عهده عاشت أكد في فترة من الخراب والفوضى حكم خلالها عدد من الملوك الضعاف [1]،الذين قادوا الإمبراطورية إلى الإنهيار، حيث تصارعوا على السلطة فاستغل الأعداء الفرصة وقام "الجوتيين" بإختراق حدود الإمبراطورية واجتاحوا المناطق الشمالية الشرقية

متجهين نحو العاصمة "أكد" ثم قاموا بتدميرها .وانتهى الأمر بنهاية الأسرة الأكدية وانتقال مقاليد الحكم فيها إلى قبائل الجوتيين[2].

بعد أن استقرت الأمور للشعب "الجوتي" وبعد أن دانت له كل مدن الجنوب فضل أهله البقاء في الشمال تاركين المدن السومرية لأصحابها نظير أداء الجزية والتعهد بإتباع سياسة المهادنة والاستسلام[3].أما الغزاة فقد استمروا في حكم البلاد متبعين الأسس الحضرية السومرية والأكدية مستعملين اللغة السومرية في رسائلهم وكتاباتهم وتفاخروا بتلقيب أنفسهم "ملوك الجوتي وأركان العالم الأربعة".[4]

كما نهب الجوتيون الشرسون المعابد وقصور الملوك ومنازل السكان، ودمروا العاصمة أكد وأضرموا فيها النار ،واسروا كثيرا من الناس وقتلوا من حاول مقاومتهم[5].

وباستقرار ملوك "الجوتيين" في الشمال، سنحت الفرصة لمدينة "أور" وغيرها لكي تنتعش وتحاول التخلص من نير الاستبداد، لكن فترة الاستعداد لهذه المحاولة استغرقت ما يقرب من قرن استطاعت بعده المدن السومرية أن تشن الغارات ضد المستعمرين وان تنجح في إقامة صرح دولة جديدة دخلت التاريخ تحت اسم"عصر إحياء الدولة السومرية".

---

(1) – احمد أمين سليم , المرجع السابق ، ص278، 279.

(2) – عارف احمد إسماعيل المخلافي ,**دراسات في تاريخ الشرق القديم "العراق وبلاد الشام"**،ط1، المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع، صنعاء،2001. ص57.

(3) – إبراهيم رزقانة وآخرون , المرجع السابق ، ص291.

(4) – احمد أمين سليم , المرجع السابق ، ص281.

(5) – حلمي محروس إسماعيل , المرجع السابق ، ص28.

د- مرحلة الإمبراطورية السومرية:

حاولت مدن الجنوب أن تستعيد مجدها القديم ،وأن تسعى جاهدة لتتحرر من استعباد "الجوتيين" لهم ولعل الظروف كانت مواتية بشكل ملموس لأسرة جديدة أن تظهر في مدينة "لجش"[1] المتمثلة في أسرة لجش الثانية (2230-2113ق.م) وفيما يتصل بهذه الأسرة فقد استطاع حكامها أن يحققوا كيانا مستقلا لمدينتهم أثناء حكم الجوتيين ،وبدأ دور هذه الأسرة في الظهور منذ عهد حاكمها المدعو "أور بابا" الذي تمتع بقدر كبير من الإستقلال والثروة مما مكنه من إقامة العديد من المعابد والأبنية لآلهة لجش، كما قام بشق العديد من القنوات لتيسير أمور الزراعة [2]، وقد خلفه في حكم لجش صهره "جوديا" الذي إستطاع أن يحقق خيرا كثيرا لمدينته ،وأن يعدل بين الناس وينظم شؤونهم في فترة حكمه الطويلة التي بلغت ثلاثين عاما[3].

إضافة إلى أسرة لجش الثانية ظهرت أسرة ثانية ،والمتمثلة في أسرة أور الثالثة، وتعد هذه الأسرة آخر مرحلة للسيادة السومرية سياسيا وحضاريا[4]، حيث انتهى نفوذهم السياسي بنهاية هذه الأسرة ، إذ اندمجوا بعد ذلك مع الساميين ،ولكن ظل تأثيرهم الحضاري مستمرا وتمثل ذلك في لغتهم وآدابهم التي ظلت تؤثر في حياة العراق القديم ،بل أن الدين نفسه كان نواة للديانات التي برزت فيما بعد.

ولقد حكم أسرة أور ملوك حكموا فترة غير ثابتة تماما، وإن مدة حكم هذه الأسرة قد تجاوزت المائة عام.وكان أول ملوك هذه الأسرة هو الملك "أور نمو" الذي بدأ حياته حاكما من قبل اوتوخيجال ،ولكنه ثار عليه واستطاع أن يستقل بالحكم ويعلن نفسه ملكا ثم ينتحل الألقاب القديمة "ملك سومر و أكد" و "ملك الأنحاء الأربعة" وذلك بعد أن تم له إخضاع الوركاء ولجش ولارسا ونيبور واستولى على جزء من أكد[5].

---

(1) – إبراهيم رزقانة وآخرون , المرجع السابق ، ص291، 292.

(2) – احمد أمين سليم , المرجع السابق ، ص286.

(3) – إبراهيم رزقانة وآخرون المرجع السابق ، ص292.

(4) – سعيدي سليم , **القانون و الأحوال الشخصية في كل من العراق و مصر**(2050- 332ق.م)، أطروحة ماجستير ، الإشراف: بن لحرش عبد العزيز، قسم التاريخ والآثار ،جامعة منتوري ، قسنطينة ،غير منشورة، الجزائر،2010 .ص11.

(5) – احمد أمين سليم , المرجع السابق ، ص289، 290.

وقام "أور نمو" بإصلاحات واسعة النطاق في "أور" وأعاد بناء المعابد المهدمة ،كما امتدت إصلاحاته لأكثر من مدينة مثل اريدو،واوما، لارسا، ثم أعاد حفر شبكة القنوات التي كانت تتحكم في شؤون الري .

خلف "أور نمو" ابنه "شولجي" الذي سار على خطى أبيه في أعمال التعمير المختلفة ، وتذكر النصوص انه اهتم كثيرا بمدينة اريدو التي كانت تقع على شاطئ البحر، ولعل هذا الإهتمام يرجع إلى رغبته الملحة في التقرب إلى جميع الآلهة السومرية .

كما أن "شولجي" كان يعمل على تعيين حكام محليين في كل مدينة ،كما كان يشرف بنفسه على تعيين الموظفين الذين يتحتم عليهم ألا يتصرفوا في أي أمر دون الرجوع إلى الحكومة المركزية في أور ،وكانت الرسائل والأوامر تصدر من أور إلى أطراف الدولة يحملها رسل أو ضباط من الجيش يعملون على تنفيذ هذه الأوامر حرفيا. ولقد أدى هذا النظام الحازم إلى الحد من المتاعب التي يحتمل أن يثيرها حكام المقاطعات ضد الحكومة المركزية.

وهكذا استمر عصر "شولجي" يسوده الأمن والرخاء إذ أن الغزوات الكثيرة التي حدثت في عصر "أور نمو" وزادها ابنه "شولجي" جعلت موارد "أور" تتزايد و تهيأت بذلك أسباب الرخاء التي عمت البلاد[1].

بعد وفاة "شولجي" توالى على العرش ثلاثة ملوك ، خلال الفترة من عام (1991-1950ق.م)، وهم :أمارسن، شوسن، أبى سن، وكانوا يلقبون أيضا بلقب " البطل القوي، ملك أور، ملك جهات العالم الأربع "، وقد قام هؤلاء الملوك وخاصة "أمارسن"، بنشاط معماري ضخم ، فشيدوا عددا من المعابد للآلهة في مدن أور واريدو ونيبور السومرية وسوسا العيلامية ،ومنذ العام الحادي عشر من حكم الملك "أبي سن"،الذي دام خمسة وعشرين عاما ،أخذت المدن التي كانت تحكمها أور تخرج عن سلطانها، كما اشتد خطر جماعات الاموريين في منطقة ماري بحوض الفرات الأوسط ،وبنى أبي سن حصنا لصد هجومهم من هذه الناحية.

وفي نفس الوقت وفي عام 1950ق.م، هاجم العيلاميون العراق ووصلوا إلى العاصمة أور، واقتحموها ثم أحرقوها وانسحبوا منها بعد أن تركوا حامية صغيرة فيها ،وأخذوا أبي سن أسيرا معهم إلى عيلام، أين توفي هناك[1].

(1) – إبراهيم رزقانة وآخرون , المرجع السابق ، ص294.

شجعت الكارثة التي حلت بـ"اور" مختلف المدن على إعلان إستقلالها، فظهرت أسرتين حاكمتين في العراق إحداهما في ايسن وهي التي أسسها "أشي ايرا" والأخرى في لارسا وهذه يرجح أنها كانت خاضعة لنفوذ العيلاميين [2]،وظلت أور تتأرجح في تبعيتها لهاتين السلالتين زمنا طويلا[3]، وفي نفس الوقت كان الأشوريون قد بدءوا يكونون دولة مستقلة ، كما وجدت بعد فترة مملكة في بابل ينتمي ملوكها إلى أصل أموري، ومملكة أخرى عرفت باسم مملكة اشنونا[4].

فظهور القوتين الكبيرتين "العيلامية والأمورية" كان هدفهما الأول هو القضاء على دولة "أور" والتي لم تستطع أن تقف أمامهما ،وكان سحق جيوش "أور" النهاية للسومريين كشعب مستقل وآخر حلقة من حلقات ازدهار حضارتهم.

وهكذا أخذت قوتان متعادلتان تتحكمان في مصير العراق القديم، واستقرت كل قوة في اقرب المدن العراقية إلى حدودها ،وجعلت منها نقط الإرتكاز لتغير منها على ما تبقى من البلاد : العيلاميون، الآتون من الشرق عبروا نهر دجلة واستقروا في "لارسا"، والعاموريون الآتون من الشمال واستقروا في "ماري" التي تقع على نهر الفرات إلى الشمال من بابل.

استقرت الأمور لهؤلاء الغزاة الجدد من الساميين ، وأخذوا يوسعون رقعة نفوذهم من "ماري" نحو الجنوب ووصلوا إلى "أور" و "لارسا" و"ايسن" كما أخذت "بابل" تحظى بعنايتهم ويولونها الكثير من اهتمامهم ثم اتخذوهم مقرا لحكمهم.

استغرقت حركة الاستقرار ومن بعدها التوسع مدة طويلة ،حاول كل من الفريقين أن تكون له اليد العليا في البلاد، لكن الظروف كانت بجانب " العاموريين" إذ ولى الأمر فيهم رجل عظيم شديد المراس ذكي طموح وهو "حمورابي" سادس ملوك بابل الذي تمكن من أن يدفع "العيلاميين" إلى بلادهم [5]كما أنه بدأ في التوسع في الشرق والشمال والشمال الغربي ومن أهم المناطق التي استولى

---

(1) – حلمي محروس إسماعيل , المرجع السابق ، ص31، 32.

(2) – احمد أمين سليم, المرجع السابق ، ص294.

(3) – محمد كامل روكان, **سقوط أور ونهاية العصر السومري في حضارة بلاد الرافدين**،المجلد 12، العدد 4،مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، (د م ن) ،2009 .ص162.

(4) – احمد أمين سليم, المرجع السابق ، ص294.

(5) – إبراهيم رزقانة وآخرون , المرجع السابق ،ص ص294-296.

عليها منطقة أشنونا ومناطق الآشوريين في الشمال[1] وأن يقضي على منافسيه من حكام المدن ، ويعيد إلى البلاد وحدتها السياسية في عصر أسرة بابل الأولى[2]، حيث شرع بتقوية الإدارة والمؤسسات كما اعتمد على سياسة التحالفات والمعاهدات الثنائية ،وكان لهذه السياسة أكبر اثر في نهضة بابل السريعة[3].

ومنه فقد عرفت مدينة بابل في أيام حمورابي أول عصر ذهبي لها، فقد حل اسم بلاد بابل محل صيغة بلاد سومر وأكد[4].

(1) – رشيد الناضوري ،**دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم**، المكتب المصري الحديث، مصر،1958.ص64،65.

(2) – محمد عبد اللطيف محمد علي , المرجع السابق ص 231.

(3) – عبد الحكيم الذنون , **التشريعات البابلية**، ط2، دار علاء الدين، دمشق، 1999 . ص 32.

(4) – محمد حرب فرزات وعيد مرعي، **دول وحضارات الشرق العربي القديم**، ط2، دار طلاس، دمشق، 1994. ص139 .

الفصـل الأول

عقائـد السومريين

I- بداية الديانة السومرية وخصائصها.

II- الأساطير السومرية.

III - الآلهة السومرية.

IV - العقاب والثواب عند السومريين.

لقد نبع الفكر الديني السومري من مجموعة التجارب التي واجهها الإنسان السومري في جنوب العراق القديم، حيث عبر عن فكره الديني في بداية حياته، بصنع تماثيل طينية صغيرة تعبر عن آلهة الأمومة،كما انه اعتقد بوجود تنظيم جماعي لكافة القوى الإلهية وذلك في جمعية عمومية إلهية يسودها الحق والصدق، ويتجه بعضها إلى الظلم، وكان السومري يعتقد أن هذه الآلهة كانت تأكل وتشرب وتتزوج وتحارب ،وغير ذلك من مختلف الظواهر والتصرفات الإنسانية. ومنه فان أهم مظهر من مظاهر الفكر الديني السومري هو صفة التشبيه.

I- نشأة الديانة السومرية وخصائصها:

1- بداية الديانة السومرية:

إن الدين في بلاد الرافدين عامة وبلاد سومر خاصة يبدأ مع إنسان العصر الحجري الحديث ،حيث مارس ابسط الأفكار الدينية على شكل طقوس سحرية بسيطة ظنا منه أن لها تأثيرا في حياته اليومية، وكانت نقطة انطلاق هاته الأفكار ،والطقوس هي ما يعرف بعبادة مظاهر الطبيعة (الكواكب، النجوم، الشمس، القمر، الليل، النهار، الأنهار، الأمطار، والزوابع، الجفاف، النبات، الرعد والبرق ...الخ)،وتأثيرات هذه المظاهر على الإنسان، ومدى تأثره بها، وكان للتغيرات التي تطرأ على هذه المظاهر ولا سيما خلال مرحلة (جمع القوات) الأثر الأكبر في حياته اليومية، وتأثيرها بمعتقداته الدينية سلبا وإيجابا ،وفي مراحل لاحقة تصور إنسان تلك العصور أن بمقدوره محاكاة هذه المظاهر الطبيعية.

وفي مرحلة تعود إلى الألف الثالث ق.م[1]، حيث كشف علماء الآثار عن بقايا أقدم المستوطنات القروية (أي في عصر جرمو)[2] حيث عثر على دمى مجسمات لنسوة تمثل عبادة الإلهة الأم التي استمرت مظاهرها إلى عصر (تل الصوان، وحلف، والعبيد) وهي حقبة العصر الحجري الحديث ،أي مع بداية النصف الثاني من الألف الخامس ق.م ،ومثل هذه الدمى في حقيقة الأمر

(1) - جاسب مجيد جاسم الموسوي ,**الدين والمعتقد في حضارة بلاد وادي الرافدين وأثره في الفكر الديني في حضارة بلاد إيران خلال المدة (3000ق.م-624م) دراسة مقارنة**، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، بغداد،2007 . ص 07.

(2) - جفري بارندر ,**المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، تر:إمام عبد الفتاح إمام، العدد173، عالم المعرفة، الكويت،1993. ص 11.

تمثل عبادة العنصر الأنثوي ،وعنصر الخصب ،والتكاثر في الطبيعة التي جسدها بالمرأة الحبلى. ولنفس الحقبة عثر كذلك على رمز العنصر المذكر في الطبيعة [1]. (انظر الملحق: 4، ص 99).
كذلك عثر في هذه المرحلة على بعض الأدوات والأواني الحجرية ،وتدل بقايا الحيوانات التي عثر عليها على أنهم استأنسوا الأغنام والماعز والبقر والخنازير وأنواع من الخيول الصغيرة [2].

فالفكر الديني السومري يمثل حلقة من تطور الفكر الديني في وادي الرافدين، وهو نابع من مختلف التجارب التي واجهها الإنسان السومري ، فقد بدأ حياته في تلك المنطقة بإنشاء القرى ،وإقامة الحياة الزراعية والصناعية المستمرة فيها، ولكنه سرعان ما واجه منذ البداية بيئة متغيرة لم تنعم بالإستقرار، اتصفت بالتقلب والتغير المستمر ،ووصل مداها إلى درجة تهديد حياة الإنسان، فبالإضافة إلى فيضانات دجلة والفرات، فالأمطار الغزيرة شكلت هي الأخرى خطرا وحولت الأراضي إلى بحر من الطين [3].

إضافة إلى هذا فإن ظهور الكتابة أيضا كان له اثر كبير في الحياة الدينية في سومر حيث سهلة لهم تدوين معتقداتهم. وأصبحت المدونات الكتابية هي المصدر الأساسي ،خاصة في حدود 2500 ق.م ، حيث دونت معلومات كثيرة عن الدين في بلاد الرافدين وباللغتين السومرية والأكدية وبالخط المسماري[4] ،وبانتشار الكتابة الصورية في بداية النصف الثاني من الألف الرابع ق.م، بدأت معالم الحياة الدينية تتطور في طقوسها عند العراقيين القدامى[5]، حيث اعتبر الإنسان القديم ،أن ما يحيط به مملوء بالمقاصد والإشارات الموجهة إليه، وطبق ذلك على ماهو في الأعلى "السماء" ،وماهو في الأسفل "الأرض"، وعلى كامل الطبيعة ،التي زودها بنوايا وجعلها تمنحه مساعدتها أو تعاديه وفقا لتصرفاته واستحقاقه[6].

---

(1) – جاسب مجيد جاسم الموسوي , المرجع السابق، ص 08.

(2) – محمد أبو المحاسن عصفور , **الشرق الأدنى قبل عصوره التاريخية**، مطبعة المصري، الإسكندرية ، 1962.ص77 .

(3) – بلخير بقة, **اثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية –سومر وبابل 3200– 539 ق.م–**، أطروحة ماجيستر ،الإشراف:بلقاسم رحماني، قسم التاريخ ،جامعة الجزائر ،غير منشورة، الجزائر،2009 . ص 37.

(4) – جاسب مجيد جاسم الموسوي , المرجع السابق، ص 53.

(5) – نفسه ، ص 08.

(6) – قاسم الشواف , **ديوان الأساطير –سومر وأكاد وآشور–** ، ج1، دار الساقي، بيروت، 1996. ص16.

وبناء على هذا فقد آمن السومريون بوجود عدد ضخم من المعبودات كانت جميعا كائنات سماوية ، وكان الرمز الذي يعبر عن فكرة الإله يصور كنجم [1]، حيث اعتقدوا أنه من مياه البحر الأزلية، ولد جبل كوني يمثل العناصر الرئيسية التي يتألف منها الكون عند السومريين [2]،هي السماء "آن An" ،والأرض "كي ki" ، وتبدو الآلهة الأخيرة أشبه بقرص الغلاف الجوي" انليل EnLil" [3]،وكان "آن" هو الإله الأعلى والأكثر أهمية في مجمع الآلهة[4].كما يعتقدوا أيضا أن البحر الذي كان في البدء هو السبب الأول الذي انبثق عنه الكون المخلوق وتشكلت منه الشمس والقمر والكواكب، والنجوم وكل يتحرك في طريقه الإلهي المرسوم وما يحدث في السماء يحدث على الأرض، ثم ظهرت النباتات والحيوانات والحياة البشرية [5].

ومن هذا اتسمت مظاهر العبادة في حضارة بلاد الرافدين بتعدد الآلهة ،وتصوروها في مجلس مقره السماء ،وأن الآلهة تقاسمت المناصب بينها، وجعلوا للآلهة الكبيرة مجلسا خاصا لاتخاذ القرارات العليا التي تخص شؤون الآلهة، والإنسان،ورئيس الآلهة هو الإله "انوANO" ،كما شبهو هذه الآلهة بالبشر ومنحوها الألقاب والشارات، وكل خصائص الإنسان (الأكل، الشرب، التزاوج..الخ) إلا قضية الموت فانه كتب على الإنسان ،واحتفظت الآلهة لنفسها بالخلود[6].

ولقد اعتقد السومريون، وفقا لما تقوله عقيدتهم الدينية، وقد بقي قائما في نصوص مفصلة منذ فجر العصر البابلي القديم حوالي 1900ق.م، أن لكل موجود كوني أو ثقافي قواعده وقوانينه الخاصة التي تجعله يستمر في الوجود إلى الأبد وفقا للخطة التي وضعها الإله الذي خلقه، وهي تسمى "مه me" بالسومرية وهناك قائمة "مه" وتشمل (السيادة، الإلوهية، التاج، العرش، الملك، الكهانة، الحقيقة، والهبوط إلى العالم السفلي والصعود منه..) غير أن هذه التناقضات الظاهرة في تعدد الآلهة، لم يكن يثير قلقا عند رجال الدين السومريين. وعندما حل عصر فاره (حوالي 2500ق.م) وضع

---

(1) – ل.ديلابورت , المرجع السابق، ص 138.

(2) – اسامة عدنان يحي , **دراسة في الآساطير – الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم–**، دار الصداقة، فلسطين، 2004 . ص 22.

(3) – جفري بارندر, المرجع السابق ، ص 12.

(4) – مرسيا الياد, **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية**، تر:عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق، دمشق، 1987.ص81 .

(5) – جفري بارندر, المرجع السابق، ص 12.

(6) – جاسب مجيد جاسم الموسوي , المرجع السابق، ص 08.

السومريون مئات الأسماء المقدسة، وصنفوا كلا منها على أنه إله،(والإله في السومرية هو دينجر Dingir، وفي السامية أيل–و) وكتبوا هذه الأسماء مع تصديرها بعلامة لأحد النجوم، ولكل إله أو إلهة خاصية مميزة، ومناطق مسؤولية محددة، رغم أن كثيرا منها آلهة ثانوية ، لكنهم يجمعونها في أسرة تلتف حول إله قوي بوصفها زوجات أو أبناء، أو موظفين أو خدما[1].

وبناءا على ما جاء عن الدين السومري ،يمكن اعتباره بأنه أول نظام ديني عميق ابتدأت منه العصور التاريخية للإنسان، فقد كانت أديان ما قبل التاريخ تفتقر إلى الشبكة النظامية الدقيقة التكوين ولوحدة الإيقاع في العقيدة والطقوس والميثولوجيا، وكان ظهور الدين السومري ثورة روحية عميقة في عصره لأنه كان نظاما دينيا شاملا[2]، ثم إنه احتوى في مضمونه على اغلب بذور الأديان التي ظهرت بعده في المراحل التاريخية للإنسان الرافدي[3].

2– خصائص الديانة السومرية :

يمكن حصر ميزات وخصائص الديانة السومرية فيما يلي :

أ/ مبدأ الحيوية: وهو الإعتقاد بوجود قوى وأرواح كامنة في مظاهر الطبيعة ،وجسدها على شكل آلهة، وكان من ابرز تلك الظواهر التي اعتقد بها ومنحها الأسماء والألقاب هي، السماء ،وأطلق عليها السومريون اسم (انو–ANO) ومنحوها المرتبة الأولى من بين الآلهة.

ب/ مبدأ تعدد الآلهة: نتيجة لتعدد الظواهر الطبيعية تعددت الآلهة، وخصصوا لها قوائم بأسمائها ومراتبها[4].كما أنه لكل إله وظيفة خاصة به ويستمدها في الغالب من الطبيعة [5]، بالإضافة إلى هذا فقد كان لكل مدينة سومرية إله تخضع لحمايته، كما كانت لأنواع النشاط البشري آلهة توحي للناس ما يجب أن يفعلوه ،وتدبر لهم مختلف شؤونهم، وتقوم بحمايتهم.

كما كان لكل ظاهرة طبيعية إله خاص مثل الإله "انو" إله السماء، والإله "انليل" إله الهواء، والإله "سن" إله القمر، والإله "أيا" وهو الإله المحلي لمدينة اريدو في أقصى الجنوب، وكان يقتسم مع

---

(1) – جفري بارندر, المرجع السابق، ص 12، 13.

(2) – بلخير بقة, المرجع السابق، ص 41.

(3) – خزعل الماجدي , المرجع السابق، ص 46.

(4) – خزعل الماجدي , **بخور الآلهة**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، 1998 . ص 93.

(5) – جاسب مجيد جاسم الموسوي , المرجع السابق، ص 54.

انو وانليل حكم العالم، ويسيطر على المياه المحيطة بالعالم ،والمياه في أسفل هذا العالم ، كما كان المسؤول عن طرد الأرواح الشريرة[1].

ج/مبدأ التشبيه: تكون الإعتقاد بهذا المبدأ نتيجة لاعتقاد سكان بلاد الرافدين عامة ،بأن للآلهة صفات ومزايا البشر، حيث اعتقدوا أنها تأكل، وتشرب، وتتزاوج فيما بينها، إلا أنها احتفظت لنفسها بالخلود، وجعلت الموت من نصيب الإنسان[2].

لكن هناك بعض الأساطير تحدثت عن محاولات خلود الإنسان وتشبهه بالآلهة، وموت الآلهة وتشبهها بالإنسان، وقد كان الملك والكاهن الأعلى هما اقرب الناس للتشبيه بالآلهة بل إن بعض الملوك السومريين حاولوا تأليه أنفسهم بعد أن ورثوا هذه العادة من الأكديين، وهناك من الطقوس الكثيرة التي تشير إلى تشبيه الإنسان بالآلهة وبالعكس ومنها، طقس الزواج المقدس [3].

د/ مبدأ الشرك: جاء هذا المبدأ نتيجة لتعدد الآلهة، وعدم اعتقادهم بمبدأ التوحيد، أي عبادة الإله الواحد، حيث اعتقد السومريون بقصة الخليقة، إضافة إلى اعتقادهم بأن إله السماء "انو" له الصدارة من بين الآلهة الكبار، وجعلوا للهواء إلها هو "انليل" أي سيد الريح، وجعلوا الأرض بالمرتبة الثالثة، وإله الأرض هو الإله "انكي" أي سيد الأرض،كما اعتقدوا بأن الآلهة منتظمة في مجتمع أشبه بمجلس دويلة المدينة السومرية، وان لها مجلس لكبار الآلهة، وأنها وزعت المناصب والمسؤوليات فيما بينها ،وكل إله مسؤول عن ظاهرة من ظواهر الطبيعة، وأن وظيفة مجلس الآلهة هو لإتخاذ القرارات العليا الهامة التي تخص شؤون البشر والآلهة[4].

---

(1) – حلمي محروس إسماعيل , المرجع السابق، ص 107، 108.

(2) – جاسب مجيد جاسم الموسوي , المرجع السابق، ص 55.

(3) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص 264.

(4) – جاسب مجيد جاسم الموسوي , المرجع السابق، ص ص 55-57.

II- الأساطير:

لاشك أن محتوى الأسطورة[1] يكمن في أساطير الخليقة والنشوء، لأنها تشير إلى الأول دائما (الكون والعالم الأول)، الآلهة الأولى، الإنسان الأول.

وإن أساطير نشوء الكون وظهور سلسلة الآلهة من أقدمها وأكبرها إلى أصغرها وأحدثها، أو كيفية خلق الإنسان، لم تكن تسير وفق أقاصيص اعتباطية، بل إنها كانت مشيدة ببنية محكمة خفية تحمل أبعادا فيزيائية [2].

ومن المعروف أيضا انه لم تستخلص حتى الآن أساطير سومرية تعالج بشكل مباشر وصريح خلق الكون، إلا أن النصوص المتفرقة التي تم العثور عليها والمتعلقة بالأفكار الكونية السومرية، تكاد تعطي صورة واضحة عن أفكار السومريين بهذا الشأن ونظرتهم إليه[3].

إن أساطير التكوين تصنف إلى ثلاثة أنواع، الأولى يخص الكون والطبيعة خلقا، والثانية تخص الآلهة وكيف توالدت عن بعضها من خلال صفات وأساطير كل إله، والثالثة تخص الإنسان الذي تعددت طرق خلقه من قبل الآلهة السومرية [4].

يذكر سهيل قاشا حسب ما جاء في الأسطورة، أنه قبل خلق السموات والأرض، أي في البداية الأولى، كان الكون بأسره فوضى جسيمة مائية مضطربة، ومن هذا الإضطراب المخيف خرجت كائنات إلهية بدائية إلى الوجود، بيد أنها كانت على شكل فوضى لا يمكن وصفها، ومرت الدهور والأحقاب واتخذت الآلهة أشكالا واضحة[5].

---

(1) – الأسطورة: تذكر المعاجم العربية ،بأن جمعها أساطير وجاءت من السطر وهو الخط أو الكتابة. ونعثر على أول استخدام للكلمة في القران الكريم حيث جاء في سورة الفرقان (الآية 5) قول الله تعالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾. انظر: فراس السواح , **دين الإنسان**، ط4، منشورات دار علاء الدين ، دمشق، 2002 .ص 56.

(2) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق , ص65.

(3) – سهيل قاشا , **اثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية**، ط1، بيسان للنشر و التوزيع والإعلام , بيروت، 1998. ص131 .

(4) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق , ص66 .

(5) – سهيل قاشا , المرجع السابق، ص 102 .

وتسمي الأساطير السومرية أول أيام الخليقة (أوريا Uria) ففي ذلك اليوم بدأ الانتقال من مرحلة العماء (Chaos) إلى مرحلة الكون(Cosmos)، وقد تم ذلك من خلال الأنثى الكونية المائية الأولى نمو Nammu وهي إلهة هيولية تحركت فيها إرادة الخلق وتصارعت الحركة مع السكون ونتج عن ذلك تكون الكون (أن–كي) ويعني (السماء–الأرض) وهو جبل كوني يعوم وسط مياه نمو، وبذلك تكون أيضا (المكان الأول) [1].

وقد رأى المعلمون والحكماء السومريون أن المكونات الأساسية للكون تتمثل في السماء والأرض، كما عبروا عن ذلك الكون بمصطلح (أن–كيAn -ki)، وكذلك اعتقدوا أن الأرض كانت عبارة عن قرص مسطح، وأن السماء كانت فضاء مجوفا مغطى من أعلاه إلى أسفله بسطح صلب على هيئة قنطرة. وبين السماء والأرض، اعتقدوا بوجود مادة أطلقوا عليها (ليل–Lil)،وهي كلمة ربما تعني "الرياح"، واعتقد كذلك السومريون أيضا أن الشمس والقمر والكواكب والنجوم صنعت من نفس المادة، وأن البحر اللانهائي يحيط بالسماء والأرض من جميع الجوانب.

أما المصادر الرئيسية عن تصورات السومريين حول خلق العالم، هي مقدمة القصيدة المعنونة ب"جلجامش وانكيدو والعالم السفلي"، ومقدمة قصيدة "الماشية والغلة" والتي تجعل من المفترض أن السماء والأرض اللتين اتحدتا كانتا جبلا قاعدته قاع الأرض وذروته قمة السماء. وهناك القصيدة التي تدور حول خلق الفأس، والتي تجيب على التساؤل عمن فصل السماء عن الأرض، حيث تقرر بأنه إله الهواء (انليل Enlil).

وتشرح أفكار السومريين أصل الكون، على النحو التالي:

* في البدء كان البحر أزلي، ولم يذكر شيء عن أصله أو مولده، ومن المحتمل أن السومريين قد اعتقدوا أنه سيبقى موجودا إلى الأبد.

* ولد البحر الأزلي الجبل الكوني، الذي كان يتكون من السماء والأرض متحدتين.

* تخيل السومريون الآلهة في هيئة بشرية، فـ"آنAn– السماء"، هو العنصر المذكر، و"كيKi– الأرض" هي الأنثى، ومن اتحادهما ولد "انليل" إله الهواء.

---

(1) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق , ص66 .

* فصل "انليل" السماء عن الأرض. وبينما فاز أبوه "آن" بالسماء، فاز "انليل" نفسه بأمه الأرض[1].

بعد أن فصل "انليل" بين السماء والأرض، وأعطاهما شكلهما الذي نعرفه اليوم، انصرف إلى خلق بقية عناصر الكون، فانليل يضاجع الآلهة ننليل فولدت إله القمر "نانا" ،والقمر بدوره أنجب إله الشمس "اوتو".

ولم يكن الخلق مهمة يتولاها إله واحد في سومر، فهاهو الإله "انكي"، جاء ليتابع ما بدأه انليل، ويضع اللمسات الأخيرة على صورة الكون [2]، فيملأ دجلة والفرات ماء نقيا ويخلق فيهما السمك، وعلى شاطئيهما ينشر القصب، ثم يلتفت إلى البحر فينظم شؤونه ويوكل به إلى إلهة اسمها "سيرارا"، ثم يلتفت إلى الرياح والأمطار...الخ، وأخيرا بعد الانتهاء من عناء الخلق يخلد "انكي" للراحة والسكينة ويشرع في بناء بيت له في الأعماق المائية[3].

بعد أن أخذ الكون شكله واستقرت السماء في موضعها، وكذلك الأرض بعد أن انتظمت دورة النهار والليل وحركة الفصول بعد أن أخرجت الأرض زرعها وشجرها تفجرت ينابيعها، وبعد أن ظهرت الحيوانات بأنواعها وامتلأت البحار بأسماكها، بعد ذلك كله صار المسرح مهيأ لظهور الإنسان[4].

فكان خلق الإنسان من المواضيع الهامة التي تناولتها الأساطير السومرية، فحسب أسطورة سومرية يعود زمن تدوينها إلى الألف الثالث قبل الميلاد، كان نمط حياة الآلهة بعد نشوء الكون قبيحا، إذ تغذت الآلهة بالأعشاب وشربت مياه السواقي وتحولت عارية[5].

ولقد أثار هذا الوضع استياء وتذمر الآلهة للأوضاع المزرية التي يعيشونها، فقرروا بالإجماع رفع شكواهم إلى الإلهة "نمو"، التي رفعت بدورها معاناتهم إلى ابنها الإله "انكي" إله الأرض، وطلبت منه

---

(1) – كارم محمود عزيز ,**اساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**، دار الحصاد، سوريا، (دت). ص 49، 50.

(2) – سهيل قاشا , المرجع السابق، ص 134 .

(3) – معوشي سامية , **مؤسسة المعبد ودورها في حضارة وادي الرافدين– سومر وبابل نموذجا–**، أطروحة ماجيستر، الإشراف:بلقاسم رحماني، قسم التاريخ ،جامعة الجزائر ،غير منشورة، الجزائر،2009 . ص 66 .

(4) – سهيل قاشا , المرجع السابق، ص 135 .

(5) – نعيم فرح, المرجع السابق، ص 45 .

أن يخلق عبدا للآلهة ينتج لها طعامها، فكان جواب الإله انكي أن الأمر ممكن، وما على أمه إلا أن تأخذ لب الطين الذي وسط المياه وتخلق منه الإنسان، وعلى اثر ذلك يقيم انكي وليمة للأرباب احتفالا على ما يبدو بخلق الإنسان[1]، وفي أثناء ذلك تقوم الإلهة "ننماخ" السيدة العظيمة بأخذ قطعة من الطين وجعلها على هيئة إنسان[2].

إضافة إلى خلق الإنسان من الطين[3]، نجد أن بعض الأساطير السومرية قد اتخذت منحى مختلفا عن الأسطورة السابقة حول مادة خلق البشر، فقد ظهرت إلى جانب الأسطورة السابقة التي تجعل الأصل الطيني المائي أساس خلق الإنسان أربع ميثولوجيات سومرية أخرى خاصة بكيفية خلق البشر، غير أنها تختلف عن سابقتها في أن كل واحدة منها جعلت مادة خلق الإنسان تختلف عن سابقتها، وهذه الأصول هي:الأصل النباتي (أسطورة حشيش انليل)، الأصل الحيواني (أسطورة على جبل الكون قبل ظهور النعجة)، الأصل الإلهي (أسطورة لامكا)، وأخيرا إلى الأصل اللوغوسي (أسطورة الاسم) [4].

نفهم مما سبق أنه من نتائج خلق الإنسان حسب الأساطير السومرية:

* أن خلق الإنسان لم يكن هدف الآلهة لكونه إنسان. ولم يكن جزءا من خلق الكون.
* أن سبب خلقه كان التعب والعناء الذي أصاب الآلهة نتيجة العمل في الأرض فخلقته ليرفع عنها نير التعب.
* أن هذا الإنسان خلق ليوفر الطعام والشراب للإلهة.
* أنه خلق من طين [5].

(1) – معوشي سامية , المرجع السابق، ص 71.

(2) – جاسب مجيد جاسم الموسوي , المرجع السابق، ص 152.

(3) – إن خلق الإنسان من الطين في النصوص السومرية، له ما يقابله في القران الكريم حيث ذكر خلق الإنسان من الطين في أكثر من موضع:قول الله تعالى:﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار﴾. سورة الرحمان، الآية:14، 15. وكذلك قوله تعالى:﴿قال وما منعك ألا تسجد إذ أمرتك، قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾. سورة الأعراف،الآية:11 .

(4) – معوشي سامية , المرجع السابق، ص 72.

(5) – جاسب مجيد جاسم الموسوي , المرجع السابق، ص 154،155.

فبعد أن أخذ الكون شكله النهائي بكل ظواهره الطبيعية (السماء، الأرض، الهواء..)، ظهور الإنسان كذلك كان لا بد من إيجاد آلهة لتنظيم هذا الكون فكان من واجب هذان الإلهان (انليل) و(انكي) المعنيان على حد السواء بتنظيم الكون والعالم، فلكل منهما أساطيره الخاصة بهذا الأمر ،ولذلك وجدنا أنه من الضروري، بعد أن ظهرت الآلهة وتوالدت التعريف بالوظائف التي خلقت من أجلها والأساطير التي صاحبت هذه الوظائف والتنظيمات التي قامت بها.

وعليه فمن الأساطير المرتبطة بتنظيم الكون والمتعلقة بالإله انليل ،تلك الأساطير التي تهتم بأمور العمل (الفأس) والفصول وتوزيع وظائف الماشية والحبوب ورحلة القمر إلى نفر حيث مكان أبيه انليل[1].

فإذا أخذنا ما جاء في أسطورة الفأس ،يمكن القول أن الإله انليل انفرد لوحده في الاستعداد للتنفيذ بدءا باختراع أداة حضارية مهمة هي الفأس والمصنوعة من اللازورد وذات رأس والمشدود بأربطة من الذهب والفضة، وشفرتها تشبه محراثا من لازورد .وبعد مباركتها، فإنه يحملها إلى قاعة "مصنع-الأجساد" في معبده ويستعملها لإستخراج الصلصال لملئ القالب "قالب خلق البشر" ،وهذه الفأس هي التي يسلمها الآلهة للبشر فيما بعد ليعلموا بها.

وكان انليل هو وحده الذي يقرر للبشر مصير أعمال السخرة ،وهو وحده الذي يبتدع أداة هذه السخرة ،وهي الفأس التي تطلق أعمال الزراعة والبناء وتعمر البلاد[2].

فبعد أن خلق انليل الفأس ووضعها في أيدي البشر ليعملوا بها، فكان على هؤلاء البشر جر المياه وتحقيق أعمال الري اللازمة اعتمادا على مخطط الآلهة ،بمنح البلاد نهري دجلة والفرات ،لكي يعم الرخاء فتملئ اهراءات المعابد وتغطي القرابين موائد الآلهة، ليفرغوا إلى أعمالهم الرئيسية وهي تسيير شؤون الكون.

كان للزراعة إذن وتربية الماشية دور أساسي في بلاد سومر ،تحقيقا لتكاثر كل شيء، حيث كانت مياه الري متوفرة والتربة خصبة، مما أدى حتما إلى التمركز وبناء المدن وبناء الحضارة[3].

---

(1) – خزعل الماجدي, (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص 173.

(2) – قاسم الشواف , **ديوان الأساطير –سومر وأكاد وآشور–** ، ج2، دار الساقي، بيروت، 1997. ص96، 97.

(3) – نفسه، ص 84.

أما فيما يخص الأساطير المرتبطة بتنظيم الكون والمتعلقة بالإله انكي ،تلك الأساطير التي تهتم بتنظيم الحياة على الأرض، بما فيها تنظيم سومر وترتيلة اريدو، فإذا أخذنا ما جاء في أسطورة تنظيم الكون ،يمكن القول أن الإله انكي قد اتجه في البداية إلى تنظيم الحياة على الأرض كلها ، ثم على سومر ثم على أور التي هي بمثابة واحدة من اكبر مدن سومر ،بعد هذا قام الإله انكي بتقرير مصير مجموعة كبيرة من البلدان والمواقع والأشياء وهي كالتالي:

* ملوخا (الجبل الأسود التي يرجح أنها تقع على الساحل الشرقي من إفريقيا)، اخذ يباركها كما سومر ،ويبارك أشجارها وثيرانها وطيورها ومعادنها وبشرها.

* دجلة والفرات يقومون بتزويدهم بماءه الرقراق ويوكل للإله (انبيلولو) العارف بشؤون الأنهار حماية هذين النهرين، يملاؤهما بالأسماك حيث (ابن كيش) يحميها.

* القلب الفضي لقلب السماء ويستدعي الإله إشكور لحمايته.

* المحراث والفدان والحقل والخضار ويجعل الإله انكيمدو مسؤولا عنه.

وغيرها من الأمور وهذا حسب ما جاء في قصيدة انكي فهي تشير إلى التنظيم الدقيق لكل مظاهر الحياة من قبل انكي[1]، هذه بعض الأساطير التي تتعلق بخلق الكون وتنظيمه وكذا خلق الإنسان.

(1) – خزعل الماجدي, (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص ص 181-183.

III- الآلهة:

نسب السومريون إلى معبوداتهم فضائل وعواطف إنسانية، وأصبغوا عليهم نفس طريقة الحياة، وإن رفعوها عن الجنس البشري حيث منحوهم الخلود وآمنوا بهم، ولم يكن هناك إله شرير، بل أن الشر كانت تسببه في العالم أرواح خبيثة ربما كانت أسمى من البشر ولكنها دون الآلهة. ومنه فإن الآلهة السومرية تمثل العوامل الجوية المختلفة، حتى أنها هي التي قامت بخلق الكون والإنسان. وبناءا على هذا سنتناول أبرز المعبودات السومرية متبعين خصائصها وعبادتها. [1].

1- الآلهة الكونية:

أ/ آنو ،آن An،Anu :

هو إله السماء وكبير الآلهة [2]، وكان الخالق أيضا.ويحتل المرتبة الأولى من حيث الأهمية في مجمع الآلهة السومرية "البانتيون"[3]، فقد نعت بأبي الآلهة وملك الآلهة، وكتب اسمه في صورة تشبه صورة النجمة ذات ثمانية رؤوس [4]، وبهذه الصورة كتبت كلمة "سماء" وكلمة "إله" أيضا، ولذلك استخدمت علامة النجمة ذات الثمانية رؤوس كعلامة دالة تسبق أسماء جميع الآلهة العراقية القديمة[5]. (انظر اللحق: 5، ص 100) .

واعتبرت النصوص المسمارية الإله "آنو" والدا للعديد من الآلهة مثل إله الهواء "انليل"، وإله الجو "ادد"، وإلهة الحب والجمال وغيرها من الآلهة، وذلك بالإضافة إلى أبوته للآلهة السبعة الشريرة، ولما كان "آنو" أبو الآلهة فهو النموذج الأول لكل الآباء ،ولما كان الملك والحاكم الأقدم فهو النموذج الأول لكل الحكام والشارات التي ترمز إلى جوهر الملك كالصولجان والتاج ورباط الرأس وعصا الراعي، وهي شارات لا تستمد إلا منه، فهو مصدر كل سلطة في المجتمعين الإلهي والبشري[6].

---

(1) – احمد أمين سليم, **دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم –مصر والعراق– دراسة حضارية** ، دار النهضة العربية، بيروت، 2002 .ص ص 398-400.

(2) – عبد اللطيف احمد علي, **محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**، جامعة بيروت العربية ، بيروت،2009. ص93 .

(3) -Georges Roux , **Ancient Iraq**, 3 Edition , Penguin Books, London, 1994 . P88.

(4) – بلخير بقة, المرجع السابق، ص 42 .

(5) – احمد أمين سليم,(**دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم**) ، المرجع السابق،ص 400.

(6) – بلخير بقة, المرجع السابق، ص 42، 43 .

فمن خلال أبوة هذا الإله لعدد من الآلهة الطيبة وأبوته أيضا لعدد من العفاريت والأرواح الشريرة، إضافة إلى قيامه بكثير من الأعمال المؤذية للبشر دفع ذلك العراقيين القدامى إلى أن يروا في هذا الإله السبب في معظم ما كان يصيبهم من خير أو شر، ومن ابرز أعمال الإله "آنو" السلبية تجاه البشر وهو ما جاء في ملحمة جلجامش، حيث أكدت على أن الإله "آنو" هو الذي خلق ثور السماء بناء على طلب الإلهة انانا (عشتار)، وأنزله إلى الأرض ينشر بواسطته الرعب بين البشر وأن جلجامش ورفيقه انكيدو هما اللذان أنقذا البشرية من شرور هذا الثور ،وأن الإله "آنو" هو الذي قرر موت جلجامش بعد أن تحول إلى رجل يؤمن بإن خلود البشر يتحقق من خلال القيام بالأعمال الجبارة المفيدة للشعب وللبشرية عموما[1]. ومنه فإن مركز عبادة الإله "آنو" كانت في مدينة أوروك مع ابنته "انانا"، وزوجته "عشتار انونيتوم"[2].

فرغم الدور الذي بلغه إلا أنه تراجع بتراجع سومر عن المسرح الحضاري ليخلفه الإله مردوخ، وبعد انطفاء هذا الإله لمع نجم آشور، حين أصبحت السيادة بيد شعبه الأشوري[3].

*** انليل Elil،Enlil :**

هو إله الهواء والرياح في سومر، ولد من اتحاد انو(السماء) مع كي(الأرض) [4]، فهو أكبر معبودات السومريين، ومعنى اسمه المركب "إن–ليل وتسمية "آن–ليل" سيد الريح[5]، ومنه فإن "انليل" "انليل" يأتي في المرتبة الثانية بعد الإله آنو إله السماء [6] (انظر الملحق: 6، ص101)،ويلقب في النصوص المسمارية بسيد جميع البلدان ،وبأبي جميع الإلهة وبالجبل الكبير وبالإله الذي يقرر المصائر والإله الذي لا رجعة لقراراته ،وبصاحب العينيين البراقتين وبالإله الذي يمتلك بين يديه ألواح القدر[7]،كل هذه الألقاب جعلت جميع الآلهة تلجئ له باعتباره والدها ،أما مركز عبادته كان في

(1) – فوزي رشيد وآخرون, **موسوعة حضارة العراق**، ج1، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، بغداد، 1985. ص151.

(2) – حسن نعمة , **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة** ، دار الفكر اللبناني، بيروت ،1994 . ص 83.

(3) – بلخير بقة, المرجع السابق، ص 43 .

(4) – هنري س.عبودي, المرجع السابق، ص 143 .

(5) – محمد بيومي مهران, **دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**، ط2، دار النهضة العربية، بيروت،1988 .ص107.

(6) – فوزي رشيد وآخرون, المرجع السابق، ص 152 .

(7) – بلخير بقة, المرجع السابق، ص 43 .

مدينة نيبور[1]، بالإضافة إلى هذا فقد أكدت الملاحم الخاصة بخلق الكون على أن الإله انليل هو الذي قام بفصل السماء عن الأرض وهو الذي خلق الفأس أداة العمل وقد صار اسمه يعني "الرب" أو "السيد" .

وللإله انليل مواقف سلبية تجاه البشر والآلهة ففيما يتعلق بأعماله المرتبطة بالبشر، فهو الذي قرر الفيضان على الأرض الذي أباد معظم البشر باستثناء من أنقذهم "اوتونابشتم" في سفينته وذلك حسبما ورد في قصة الطوفان [2]. بالإضافة إلى هذا فقد كان انليل هو السبب في موت دموزي وذلك بأمر من عشتار [3] نظرا لأن "انليل" إله العاصفة، فإنه يمثل كل ما فيها من عنف وبطش، كما كما أنه يمثل أيضا القوة ،وكل إرادة تعارضه تسحق وتكره على الخضوع، كما أنه في مجمع الآلهة كان هو الذي ينفذ أحكام المجمع ويقود الآلهة في الحرب، وحيث أن انليل يمثل البطش فقد كان لطبيعته صفة غريبة، حين كان يمثل ثقة الإنسان وخوفه في آن واحد[4].

*** انكي، أيا En–Ki–Ea :**

هو ثالث الآلهة الكبرى في بلاد الرافدين، وانكي هو الاسم السومري ومعناه "سيد الأرض"[5]، وأطلق عليه الساميون "أيا" ومعناه "بيت الماء"، وبالإضافة إلى كونه إلها للأرض وسيدا للمياه الجوفية فقد إعتبرته النصوص المسمارية على أنه إله الحكمة أيضا، ولذلك كانت الآلهة تستشيره في المواقف الصعبة وتطلب منه النصح والمساعدة. (انظر الملحق: 7، ص102).

ولكونه إله الحكمة فقد اعتقد الإنسان العراقي القديم ،بأنه قد خلق الإنسان بتشكيل كتلة من الطمي منحها الحياة بنسمته الإلهية، وهو الذي كشف عن صناعات مختلفة للإنسان ومنح الذكاء للملوك وساعد الكهنة على تأدية وظائفهم المقدسة ،وخاصة في طقوس السحر التي كان يستعمل

---

(1) – ك.ماتفيف و ا.سازونوف , **حضارة ما بين النهرين**، تر:حنا ادم ،دار المجد، دمشق، 1991 . ص 73.

(2) – احمد أمين سليم, (**دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم**) ، المرجع السابق،ص 405، 406.

(3) -Charles Penglase , **Greek Myths And Mesoptamia**, Routledge , London , 1994 . P 33.

(4) – احمد أمين سليم,(**دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم**) ، المرجع السابق،ص 406.

(5) – عبد الحميد زايد ، المرجع السابق، ص 144.

لممارستها ماء مقدسا يؤخذ من حوض "ابسو"[1] في معبد اريدو، فهي المركز الرئيسي لعبادته[2].

والإله "انكي" على العكس من الإلهين "انو" و"انليل" فهو دائما حسن النية والشعور تجاه البشر، وقصة الطوفان شاهد أكيد على ذلك حيث أن الإله "انليل" قرر إحداث الفيضان وإغراق البشر بينما الإله انكي يقوم بإخبار "اوتو نابشتم" بقرار الآلهة وطلب منه أن يهدم بيته ويبني له سفينة ويضع فيها من كل زوجين اثنين ،وإضافة إلى ذلك فإن الملاحم الخاصة بخلق الإنسان قد أعطت للإله انكي دورا فاعلا في عملية خلق الإنسان.

وانكي هو والد الإله مردوخ الذي يعمل على مساعدة والده في الطقوس الخاصة بطرد الجن والأرواح الشريرة من أجسام المرضى ،لأنه يستطيع أن يراها فيصفها لوالده بدقة[3].

ب- الآلهة الفلكية:

*** سين Sin:**

اسمه "سي.آن" أو "سي.آن.نو" بالأكدية ،ورقمه الحسابي 30 وهو يقع بعد انكي في ترتيب المعبودات، والرقم 30 يعني تمثيل الشهر كاملا، وهو بذلك سيد الشهر أو القمر[4]،ويعرف في السومرية بإسم "نانا Nanna [5] ،وبناء على تسميته فإنه كان يسيطر على التقويم [6]. أما عن مركز عبادته فكانت في مدينة "أور" ،وله فيها دار للعبادة ،وقد مثل الإله سين "إله القمر" بهلال وحده أو بهلال مع صورة إنسان. (انظر الملحق: 8، ص 103).

وقد ربط العراقيون القدامى بين سبب ظاهرة خسوف القمر ،هو تمكن سبعة شياطين أو أرواح شريرة من القمر، من أجل ذلك كانوا يقومون بتقديم القربان ويصلون حتى يعود القمر إلى حالتهالطبيعية، وكانت له رفيقة وزوجة وهي "ننجال" [7].

---

(1) – احمد أمين سليم, (**دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم**) ، المرجع السابق،ص 409.

(2) -Jane R. Mcintosh , **Ancient Mesopotomia**, Library of Congress Cataloging in Publication Data, 2005 . P 211.

(3) – فوزي رشيد وآخرون, المرجع السابق، ص 156 .

(4) – بلخير بقة, المرجع السابق، ص 45 .

(5) – كامل سعفان, **موسوعة الأديان القديمة –معتقدات آسيوية–** ، دار الندى، مصر،1999 . ص 30 .

(6) – هـ.و.ف، ساكز, هـ.و.ف، ساكز, **البابليون** ،تر: سعيد الغانمي ،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009. ص61 .

(7) – عبد الحميد زايد ، المرجع السابق، ص 146.

*** اوتو Outou:**

إله الشمس لدى السومريين[1]، يسمى في الأكدية "شمش" وهو معروف بهذا الإسم في كل اللغات السامية، وهو ابن إله القمر وأخو "انانا.عشتار" وزوجته "أيا"، وكثيرا ما مثل برمز قرص ذي أربعة خطوط تنبعث منها حزم الأشعة، كما صور بهيئة ملك جالس على عرشه ويحمل في يده اليمنى الصولجان والحلقة، وهما رمزا السلطة ، وتاج مزين بأربعة أزواج من القرون وهو زي لباس الرأس عند الآلهة، وله لحية طويلة كإله القمر، وتنبعث منه حزم الأشعة، ولأنه ينير الظلمات، فهو إله العدالة والحق والشرائع[2]. (انظر الملحق: 9، ص104).

*** عشتار Innina،Ishtar :**

هي إلهة الحب والخصب[3] والحرب، عرفت عند السومريين باسم "انانا" بمعنى سيدة السماء، وأطلق عليها الأكديون والأشوريون "عشتار"، وعرفها بعض الساميين في سورية "عشتاروت وعشتوريت"[4] ،وقد مثلت بكوكب الزهرة ورمزوا إليها بنجم تخرج منه ثمانية من الأشعة أو ستة عشر عشر داخل دائرة[5].(انظر الملحق: 10، ص 105).

وقد حظيت الإلهة عشتار بقسط وافر من الألقاب والصفات التي تشير في الحقيقة إلى الأوجه المختلفة من صفاتها وخصائصها، وكان من ابرز تلك الصفات كونها إلهة الخصب بالمعنى الواسع لهذه الكلمة بما في ذلك من مدلولات على الجنس والتكاثر والحب، وكونها أيضا إلهة للحرب، ومن ناحية أخرى فقد كان يشار إليها في القطع الفنية برموز معينة من أشهرها حزمة من القصب ونجمة مثمنة[6].

---

(1) – هنري س.عبودي, المرجع السابق، ص 146 .

(2) – بلخير بقة, المرجع السابق، ص 45 .

(3) – فراس السواح ، **مغامرة العقل الأولى**، ط11، دار علاء الدين ، دمشق، 1996. ص 383.

(4) – عبد الحميد زايد ، المرجع السابق، ص 147.

(5) – سعدون محمود الساموك ، **في مقارنة الأديان –المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن–**، دار وائل للنشر، عمّان، 2006 . ص233.

(6) – فاضل عبد الواحد علي ، **عشتار ومأساة تموز**، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1999. ص 25.

وقد احتلت عشتار مكانا كبيرا في ديانة سكان الرافدين ،كما انتشرت عبادتها في مناطق أخرى من الشرق الأدنى القديم، كما عبدت أيضا في بعض المناطق العربية الجنوبية، وانتقلت عبادتها إلى بلاد اليونان حيث سميت باسم "افروديت" وعبدها الرومان باسم "فينوس"[1].

ج- الآلهة الطبيعية:

*** دموزي Dumuzi،Tamuz :**

إله سومري ، واسمه الكامل " دموزي ابسو" أي الابن الحق لابسو، وابسو هو إله المياه الجوفية، ومنه فإن الإله دموزي يمثل إله الإنبات في الديانة السومرية، كان يعتبر إبنا لإلهة الأرض المخصبة بالمياه العذبة[2]، كما أنه روح النباتات التي تموت وتحيا في دورة مستمرة[3]، فقد جسد الإله دموزي الخصب في الأسطورة والطقوس السومرية والبابلية، فهو يعتبر عشيق وزوج الإلهة "عشتار"[4]، "عشتار"[4]، والتي اعتبرت نفسها مسؤولة عن موته، وكانت مراسم عبادته تدور حول زواجه من عشتار، وموته وندبه كل عام، وقد كان السومريون يخصصون لهذا الإله شهرا في كل عام، وقد درج الساميون على هذا التقليد وخصصوا الشهر السابع من السنة (تموز) لذكرى هذا الإله[5].

*** نيسابا Nissaba:**

إلهة سومرية كانت إلهة الحبوب، وهي ابنة آن، وفي مجمع آلهة لجش أخت نينجرسو، وابنة انليل ثم أصبحت إلهة الكتابة والحساب والعلوم والعمران والفلك، كان زوجها الأول الإله خايا "سيد الرقيم المختوم أو إله الكتبة"، وقد أصبح الإله "نابو" فيما بعد زوجها، وقد ظهرت الإلهة نيسابا في طبعة ختم اسطواني يعود إلى العصر الأكدي تظهر فيه جالسة على كرسي وتشع من كتفها أو جسمها سنابل شعير، وتمسك بيدها حزمة من نبات القصب دلالة على علاقتها بأداة الكتابة ،وهي القصب[6].

---

(1) – احمد أمين سليم,(**دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم**)، المرجع السابق،ص 417، 418.

(2) – هنري س.عبودي, المرجع السابق، ص 406 .

(3) – فراس السواح, **لغز عشتار**، ط8، دار علاء الدين، دمشق، 2002 .ص 292 .

(4) – بلخير بقة, المرجع السابق، ص 48 .

(5) – هنري س.عبودي, المرجع السابق، ص 406 .

(6) – بلخير بقة, المرجع السابق، ص 48، 49 .

IV- العقاب والثواب عند السومريين:

كان هذا الاعتقاد سائدًا بين سكان بلاد الرافدين ،فهم يرون أن الآلهة وحدها خالدة، وأن موت الإنسان أمر لا مفر منه[1]، فقد كان الموت من طبيعة الإنسان وتركيبه ،إذ أنه خلق ومعه حياته وموته، وهو قانون طبيعي قدرته الآلهة عندما خلقت البشر وفي الوقت ذاته فإنه لم يتصور أن الموت غاية تنتهي عندها الحياة وتنعدم انعداما كليا، وإنما يعني الموت عندهم انفصال الروح عن الجسد ،وأن الميت لا يعود هو نفسه إلى الحياة بل الذي يعود منه هو الروح التي تحيا الحياة الأخرى في عالم الأرواح وهو العالم السفلي، حيث تعيش هناك إلى ابد الآبدين من غير قيامة ولا رجعة، وعن هذا الإنفصال بين الجسم والروح فانه تبقى بعض الصلة بين الإثنين بعد الموت.

اعتمدت راحة الروح في عالم الأرواح عندهم على العناية التي يبذلها الأحياء في دفن الجسم وفق الطرق والقواعد الدينية، وعلى ما يودع في القبر من أثاث وطعام [2]، وكذلك تقديم القرابين لتلك الأرواح ،وإلا فإن روح الميت لا تستقر في عالم الموتى، بالإضافة إلى هذا فإن نبش القبور والعبث بها يؤدي إلى قلق الأرواح وعدم استقرارها، وكما أن عدم دفن جثة الميت يؤدي إلى خروج روحه إلى عالم الأحياء بهيئة شبح يقوم بأعمال مؤذية للناس[3].

وبناء على هذا فقد اعتقد السومريون أن الموت يرجع جسد الإنسان إلى الطين عندما يدفن في القبر ولا يعود له وجود(إلا ما يتبقى منه من عظام) .أما الروح فلأنها من الآلهة فإنها تذهب إلى العالم الأسفل وتحبس فيه إلى الأبد[4].

إن روح الإنسان بعد مماته تسمى في السومرية "كيديم GIDIM" وفي الأكدية تسمى بـ"ايطيمو"، وان هذه الروح هي التي تتحمل حسنات أو سيئات الشخص المتوفى ،وكانت مكان سكنى الروح هي العالم السفلي.

(1) – حلمي محروس إسماعيل , المرجع السابق، ص113.

(2) – احمد أمين سليم,(**دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم**)، المرجع السابق،ص 440.

(3) – جاسب مجيد جاسم الموسوي , المرجع السابق، ص 163.

(4) – خزعل الماجدي, (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص 299.

والعالم السفلي عندهم يمثل بالطبقة الأخيرة من الأرض وفوق سقفه كانت تمتد المياه الجوفية العميقة [1]،وكان هذا العالم مخيفا كأنه مدينة أحيطت بسبعة أسوار[2] وبنهر يحيط بالسور الأول منه ويسمى "خوبور" وكان لا يسمح للموتى بعبور هذا النهر إلا بعد انجاز الشعائر الجنائزية[3].

ومن المعروف أيضا أن الذين يقتلون ظلما والذين ليس لهم قبور تبقى أرواحهم داخل العالم الأسفل قلقة وغير مستقرة ، وقد تخرج نتيجة لذلك خارج القبر إلى عالم الأحياء وتسبب لهم الأذى والإزعاج ، وهي الأرواح التي يحاول طردها الكهنة لأنها تسبب الأمراض والمشاكل لسكنة العالم الأعلى، ومن أهم الأرواح التي أصبحت في مقام الأرواح الشفيعة للبشر فهي أرواح السومريين "عشتار، جلجامش، اورنمو" [4].

أما فكرة الحساب فقد رجح الباحثون انعدام وجود حساب للموتى في عالم الأموات ، وبالتالي انعدام وجود عقاب أو ثواب في ذلك العالم[5]، ومنه فليس هناك ما يشير إلى أن الميت في العالم الأسفل يلاقي الحساب ، ومن ثم العقاب والثواب على ما قام به من أفعال في العالم الأعلى، ولا تشير النصوص السومرية إلى ذلك ، لأن السومريين كانوا يعتقدون أن الموت بحد ذاته أمسى عقوبة للإنسان، وليس هناك من ضرورة لمحاسبته عن أعماله في الدنيا، ولكن استعطاف الآلهة والتقرب إليها عن طريق الأضاحي والتعاويذ والصلوات ،كان أمرا محببا يبدو لنا من خلاله أن هذه الآلهة كما لو أنها ستحاسب أو تقيم سيرة الموت[6].

كما أنهم يعتقدون أن الخطيئة قديمة قدم الإنسان، يتعرض لإرتكابها دائما بقصد أو بدون قصد، وارتكاب أي خطيئة ينجم عنه أضرار جسيمة تتجلى في أمرين:

- تخلي الآلهة عنه فيقع عندئذ فريسة للمصائب والكوارث والأمراض وتلاشي السكينة والهناء.
- تقصير أجل الحياة وإحلال الموت بالمذنب عقابا له على ما ارتكبه من خطيئة.

---

(1) – فوزي رشيد ةآخرون, المرجع السابق، ص 178، 179 .

(2) – عبد الحميد زايد ، المرجع السابق، ص 140.

(3) – فوزي رشيد وآخرون, المرجع السابق، ص 179 .

(4) – خزعل الماجدي, (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص 300.

(5) – يسر محمد سعيد مبيض, **اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة**، دار الثقافة، قطر،1992. ص 46.

(6) – خزعل الماجدي, (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص 300.

أما الثواب فهو صفاء العيش وطول العمر الذي يلحق من يفعل الفضيلة والحسنات والأعمال الورعة كالخوف من الآلهة وتقديم القرابين وبناء المعابد، وصنع التماثيل للآلهة[1]. وعلى هذا فإن الإنسان يلقى جزاءه من ثواب وعقاب في الحياة الدنيا وليس في الآخرة أو بعد موته[2].

ومنه فقد كان الإنسان مهيئا دائما للخطيئة وارتكاب الشرور، وهناك أنواع كثيرة جدا من الخطايا مثل معصية الآلهة وأذى الناس واختراق نواميس الأخلاق ،وعدم القيام بواجبات الإنسان تجاه الإله.

وكانت الخطايا مدخلا لأن يتخلى الإله عن الإنسان، وعند ذلك يفقد الإنسان التوازن ويصبح مهيئا للكوارث والويلات والاضطرابات والمرض وربما الموت، ومنه فإن الخطيئة هي مصدر العقاب، أما الحياة السوية الفاضلة فكانت مصدر الثواب.

وقد قادت فكرة الثواب والعقاب في الحياة الدنيا السومريين إلى التمسك بالحياة ومباهجها من ناحية ،وإلى الالتزام الأخلاقي والديني من جهة أخرى، وكان هذا التوازن له دور كبير في تشكيل النظرة الصافية للحياة والدين عند السومريين[3].

(1) – يسر محمد سعيد مبيض, المرجع السابق، ص 46.

(2) – محمد أبو محاسن عصفور , **معالم حضارات الشرق الأدنى القديم**، دار النهضة العربية ،بيروت ، 1987.ص218.

(3) – خزعل الماجدي, (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص 302، 303.

الفصل الثاني

المؤسسة الدينية

I- المعابد السومرية.

II - الكهنة وطبقاتهم.

III - دور مؤسسة المعبد في سومر.

تشكل المؤسسة الدينية ركن أساسي من أركان الديانة في بلاد الرافدين عامة، والسومرية خاصة، بما تحتويه من أبنية دينية والمتمثلة في المعابد، فقد كانت هاته الأخيرة وسيلة وصل بين الآلهة والناس ،حيث اهتمت بشؤونهم الدينية وكذلك الدنيوية ،إضافة إلى اهتمام سكانها بتشييد هذه الأبنية وإعداد أبنية خاصة بعبادتهم ،والتي قاموا بتطويرها فيما بعد فأصبحت عبارة عن أبنية عالية أو مصاطب فيما اصطلح عليها بـ"الزيقورات"، وإلى جانب هذا ظهرت فئة على الساحة الدينية كانت لها اتصال مباشر بالمعابد ،والمتمثلة في الكهنة والتي كانت لها ادوار عديدة في المعبد، إضافة إلى أنهم كانوا يعلمون الناس العلوم ويلقنونهم الأساطير.

I- المعابد:

يعتبر المعبد احد أهم العناصر المعمارية في حضارة وادي الرافدين، ويعود ظهوره إلى العصر المعروف بتل حلف في بداية الألف الخامس قبل الميلاد، وقد استمر في التطور إلى أن أخذ صورته كاملة حوالي 3000ق.م، وقد اعتبر مكان سكن الإله وزوجته وأولاده وأفراد حاشيته ، فكان بذلك ذا مكانة مقدسة في المجتمع لأنه ارتبط أساسا بالمعتقدات الدينية وخدمة الدين ، لأنه مكان عبادة الإله وإقامة الطقوس والشعائر الخاصة به كالاحتفالات الدينية.

لقد كان بناء معبد جديد من المهمات التي تستلزم أداء طقوس معينة من أجل التأكد من رغبة الإله الخاص بذلك المعبد قد حققت على الوجه الأكمل، وكان الإله يفصح عن رغبته في بناء معبد جديد من خلال الأحلام التي يراها الملك أو الكاهن في منامه ،أي أن بناء أي معبد يكون بأمر الهي عن طريق الحلم، ومن الأمثلة على ذلك الرؤيا التي رآها جوديا حاكم لكش 2120 ق.م، فقد رأى الإله ننكرسو[1] على شكل إنسان ذي قامة هائلة وعلى رأسه تاج الهي وله جناحا طير ذا رأس أسد ، والجزء الأسفل منه كالطوفان والأسود على جانبيه وأمره ببناء معبد[2].

---

(1) – الإله ننكرسو: معنى اسمه هو "سيد مدينة كرسو"، وهذه الأخيرة هي أحد المدن التي شغلتها سلالة لكش، وإنه أيضا تجسيد للسلطة الحاكمة، وله مواصفات مرتبطة بالزراعة والري، إضافة إلى أنه إله العدالة، وقد صورته المسمارية بالإله المحارب. انظر: فوزي رشيد وآخرون, المرجع السابق ، ص160، 161 .

(2) – بلخير بقة, المرجع السابق، ص 132، 133.

ومنه فإن أول المعابد ظهرت في اريدو (الطبقة السادسة عشر)، وهي تعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد[1]، وقد دلت على ذلك الحفريات التي أقيمت في هذه المنطقة ، والتي كشفت عن أقدم معبد بناه العراقيون في اريدو[2]، وقد أخذ هذا المعبد لأول مرة مظهر معماري جديد، يتمثل في بناء هذا المعبد فوق تل صناعي، وتؤدي بعض المنحدرات إلى منصته، وهو تصميم قدر له أن يصبح علما على مباني السومريين الدينية فيما بعد ، وعلى أية حال لقد كان معبد اريدو هذا متواضعا يناسب عصره، ويتكون من مقصورة بسيطة ،كانت لها مشكاة لتمثال معبودها أو رمزه، ومائدة للقرابين وضعت أمام هذه المشكاة، وتجدد هذا المعبد وزاد اتساعه أكثر من مرة خلال عصر العبيد، ودل تخطيطه في مراحله الناضجة على تطورات جديدة، فشيده أصحابه من جديد فوق مسطح يؤدي إليه درج، فزادوا في مقصورته فوضعوا مذبحا جديدا على مبعدة من مائدة القربان القديمة، وأحاطوا المقصورة بحجرات جانبية، وشكلوا واجهة جدران المعبد الخارجية على هيئة مشكاوات رأسية مستطيلة بسيطة، تعاقبت الواحدة منها بعد الأخرى على مسافات متساوية.[3](انظر الملحق: 11، ص106).

بالإضافة إلى هذا فقد كانت هذه المدينة منذ القدم مخصصة للإله انكي، وهو معبد ذي تخطيط مثير للإعجاب بالرغم من بساطته، فهو يحتوي على حرم مستطيل يبدو عليه بأنه كان مقسما إلى منطقتين بجدران فاصلة، وفي إحدى النهايات يوجد مذبح صنع لكي يحتوي على منصة من اللبن، ثم وسع هذا المعبد الصغير فأصبح وسطه محلا مقدسا للعبادة محاطا بعدد من الغرف الإضافية، والمحراب الذي تواجهه منضدة النذور يوضع على أحد الضلعين القصيرين، أما الجدران فقد كانت مشيدة بالآجر الطيني وعلى طريقة الدخلات والطلعات المتعاقبة على أبعاد متساوية، وقد شيد المعبد كله على دكة أو مصطبة يصعد بها بمجموعة من السلالم المؤدية إلى مدخل المعبد، وقد رمز لبوابة المعبد بالعود المزدوج الذي يشبه الرمح[4].

(1) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص 280.

(2) – رضا الهاشمي , **النظام الكهنوتي في العراق القديم**، قسم الآثار، (د ن)، (د م ن)، (د ت). ص 261.

(3) – محمد بيومي مهران , **تاريخ العراق القديم**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 1999 .ص ص 36-38.

(4) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص ص 280-282.

إلى جانب هذا المعبد فقد عرف السومريون عدة أنواع من المعابد- من حيث الشكل- أهمها معابد الآلهة الرئيسية المنفردة ،وهي عادة معابد أرضية تكون في مناطق مركزية داخل مواقع المدن المهيئة لهذا الغرض. وهناك المعابد الملاصقة للزيقورة وهي معابد أرضية منخفضة تكون في الصحن المحيط بالزيقورة ولها واجبات تكميلية أو معوضة للمعبد . وهناك المعابد المرتفعة فوق المصاطب المشيدة من اللبن بطبقة أو طبقتين ،وهي في حقيقتها استمرار لمعابد عصري العبيد والوركاء [1]، حيث تم الكشف عن معابد مقدسة في مدينة الوركاء عبارة عن أبراج ذات طوابق والتي تسمى "بالزيقورات"، والتي أقيم على غرارها برج بابل، ويرجع تاريخ إنشاء هذا المعبد إلى ستة آلاف من الأعوام، وهو في شكله الأخير يرقى إلى بداية الألف الثالثة قبل الميلاد، مقام فوق ركام هيئ ليكون شبه تل صغير مرتفع عن الأرض نحوا من اثني عشر مترا، ويحمل هذا المعبد اسم " انو" اله السماء الذي أقيم تمجيدا له، ويسميه الأثريون باسم "المعبد الأبيض"[2] (انظر الملحق: 12، ص107)، والذي يتميز بجدرانه المدهونة باللون الأبيض من الخارج ، والذي كان قائما على مصطبة من القرميد [3]، ويشبه في تكوينه الداخلي تكوين المعبد السابع في "اريدو" ،غير أن قاعته أقل مساحة، وكان جل ما يراد من تشييد هذه الأبراج التي قد تبلغ فيما بعد سبعة طوابق ، وهو تعبير عما يحاوله الإنسان من وصل نفسه بالسماء والتمكين للآلهة في عليائها من أن تجد ما تهبط عليه إلى الأرض من أشباه هذه السلالم، وكذلك التعبير عن ازدياد القدسية بالإرتفاع، من أجل هذا كانت تقام على قمة هذه الأبراج معابد خاصة لا يرق إليها غير الكهنة حيث يهبط الإله لمنح البشر الحياة، وهناك في تلك المعابد الخاصة كان الكهنة يخلون إلى عبادة الإله وتمجيده مقدمين إليه القرابين[4].

أيضا من أهم ما يميز عصر الوركاء هو وجود عدد من المعابد المهمة حيث كشف عن عدد منها في منطقة معبد "أي-انا" وهو المعبد المخصص للإلهة "انانا" كما شيدت معابد أخرى للإله "انو"، ففي المنطقة الأولى وجد ما لا يقل عن ستة معابد موزعة بين الطبقتين الخامسة والرابعة وقد شيدت

(1) – بلخير بقة, المرجع السابق، ص 135.

(2) – ثروت عكاشه, **الفن العراقي القديم – سومر وبابل وأشور–** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،(دت). ص 116.

(3) – سيتون لويد, **اثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي** ، تر:محمد طلب، ط1، دار دمشق ، دمشق، 1993 .ص 68.

(4) – ثروت عكاشه, المرجع السابق, ص 116، 117.

على هيئة أزواج يتجاور كل معبدين لعبادة الإله وقرينته، وقد سمي أحد المعابد من الطبقة الخامسة بـ"المعبد الكلسي" لأنه أقيم على مصطبة من حجر الكلس وبرزت خلف معبد "انانا" زيقورة متصلة بمعبد عرف في العصور التاريخية بمعبد الإله "انو" وقد أطلق على هذا المعبد اسم "المعبد الأبيض" لوجود طلاء من الجص الأبيض في ظاهره وقد شيد هذا المعبد للإله " انو" سيد السماء حسب عقيدتهم ، ولا يختلف مخططه كثيرا عن معبد (أي–انا) وتتجه زواياه نحو الجهات الأربعة[1].

وقد كشف أيضا في تل العقير[2] ،على بقايا معبد يطلق عليه ." المعبد المصبوغ" ،ويرتقي تاريخ هذه البناية إلى عصر الوركاء، في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، وقد وجدت في حالة فائقة من السلامة فقد بقيت جدران سلسلة من الحجرات وجانب من الهيكل سليمة، إلى علو يزيد على أربعة أمتار في بعض الأماكن[3]، ويتميز أيضا بوجود رصيف الذي بني فوقه في حالة جيدة، وذلك بالإضافة إلى أن أقساما عديدة من الأسوار ما تزال قائمة على ارتفاع بضعة أمتار، ومخطط هذا المعبد يطابق تماما المعبد الأبيض في الوركاء، باستثناء أن أدراجه الموجودة في أحد الأطراف قد حل محلها المذبح الموجود على المحور الرئيسي والذي يتم الوصول إليه بواسطة مجموعة من المدرجات.(انظر الملحق: 13، ص 108).

وكانت الواجهات الداخلية مغطاة برسوم جدارية ملونة بألوان متعددة، فكان الجزء السفلي من الجدران ملون باللون البني الفاتح تعلوه حزمة من الزخارف الهندسية، ويمتد فوق ذلك افريز من الأشكال البشرية والحيوانية لم يبق منها سوى القسم السفلي، والزخارف التي بقيت في حالة أفضل فهي الزينات الموجودة على واجهات المذبح الرئيسي، وعلى الجهات المقابلة للدرج ظهرت لوحات تمثل نمرين للحراسة منقطين بالأحمر والأسود[4].

---

(1) – لمياء محمد علي كاظم, **الوركاء مدينة الحضارة الخالدة**، مجلة جامعة بابل، العدد1، المجلد 18، جامعة المثنى، بغداد، (دت).ص 08.

(2) – تل العقير: يقع في شمالي شرقي بابل في منتصف المسافة بين دجلة والفرات، وأطلال هذا الموقع مزامنة لعصر العبيد ، كما عثر فيها على معبد مطلي بالدهان يرقى إلى عصر أوروك. انظر: هنري س عبودي، المرجع السابق ،ص614.

(3) – سيتون لويد, **المجهودات الأثرية في العراق**، مجلة سومر، ج2، مديرية الآثار القديمة العامة، بغداد،1945. ص17، 18.

(4) – احمد أمين سليم , **تاريخ العراق– إيران– آسيا الصغرى**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000. ص143.

ضف إلى هذا فقد وجد معبد آخر يطلق عليه "المعبد البيضوي" في خفاجه، ويمثل هذا المعبد نموذجا فريدا لمعابد مرحلة دول المدن السومرية ، وأهم ما يميزه أنه محاط بسورين بيضويين يقع بينهما (بيت الكهنة)، واشتمل بناء المعبد على دكاكين ومخازن وقدس الأقداس في النهاية الأولى.

كان مدخل هذا المعبد سلما يقع بين درجين، وتظهر خلوة متميزة، وكذلك ما يسمى بالطريقة المزدوجة التي كانت سائدة في النمط المعماري لهذا العصر ،ويبدو أن المعبد كان مبنيا على مصطبة عالية ، ومازالت الزيقورة غير شائعة كثيرا في هذا العصر رغم وجودها.

وكانت هناك أيضا "زيقورة أور" فهي تعتبر ابتكارا سومريا عظيما لفن عمارة المعابد، وقد كانت لكل من اور والوركاء ونفر ولارسا واريدو زيقوراتها الخاصة بها ،وقد شيدت كل هذه الزيقورات التي تتألف من ثلاثة إلى سبعة طوابق من الآجر (غير المشوي من الداخل والمشوي من سطحه الخارجي).

ومنه فان هذه الزيقورة التي بناها الملك "اورنمو" ذات ثلاثة طوابق وتعلو الطابق الأعلى غرفة الإلهة "عشتار" وقد وجدت زوايا المعبد الأربع نحو الجهات الأربع، ورتب التغليف على شكل طلعات ودخلات، أما السلم الذي يهبط بتعامد في اتجاهه مع الضلع الشمالي الشرقي ،فمن المحتمل أن يؤدي قدما إلى الطبقة العليا التي شيد عليها المعبد العالي الحقيقي، وأما السلمان الجانبيان فإنهما يرتبطان عند الطبقة الأولى، بالسلم الرئيسي الذي يؤدي بشكل منفصل إلى الطبقة الثانية من الزيقورة[1]. (انظر الملحق: 14، ص 109).

يمكن القول أن كافة المعابد الرئيسية كانت تشترك في خصائص معينة، حيث اشتمل كل منها على فناء كبير تحيط به غرف صغيرة، تستخدم للإقامة أو كمكتبات، ومدارس للكهنة، وورش ومخازن، وفي الأعياد الكبيرة كانت تجمع نصب الآلهة التي تجلب من المعابد الأخرى في الفناء الواسع، الذي يبقى مفتوحا للجميع في الأيام الاعتيادية .

والمركز الرئيسي للمعبد مخصص للكهنة ولا يدخله غيرهم، وكان القسم الرئيسي من المعبد يشتمل على ثلاث غرف متوالية هي: الدهليز، وما قبل المقدس، ثم المقدس أو قدس الأقداس، وتحتوي غرفة المقدس على تمثال الإله أو الإلهة المكرس لها المعبد، وفي غرفة ما قبل المقدس كانت توضع نصب الآلهة والمعبودات الأخرى، بالإضافة إلى المسلات التذكارية للملوك.

---

(1) – خزعل الماجدي ,(**متون سومر**)، المرجع السابق، ص285 ،286.

وكانت تستخدم مواد نادرة وغالية الثمن في بناء هذا القسم من المعبد، فترفع السقوف على أعمدة من خشب الأرز، وتصنع الأبواب من الخشب الثمين المطعم بشرائط من النحاس أو البرونز ولحماية المعبد ، كانت تنصب فوقها تماثيل لاسود أو ثيران أو لكائنات خرافية مصنوعة من الحجر أو الفخار أو الخشب.

وكانت الطقوس والصلوات والاحتفالات تقام كل يوم في المعبد، كما تكرس عدة أيام شهريا وفي عيد رأس السنة، لإقامة احتفالات مقدسة خاصة بهذه المناسبات، كان الإعتقاد السائد وقتذاك أن الآلهة تعيش حياة مادية خالصة ، فهي بحاجة إلى أن تنظف وتغسل وتزكى بالعطور والطيب وتلبس وتطعم يوميا.

وكانت ترسل إلى المعبد أجود منتجات الحقول الزراعية والبساتين وقطعان الماشية والأغنام والماعز، حيث كان يقدم جزء منها كطعام لتمثال الإله ،ويشمل الخبز والزبد والعسل والفواكه واللحم والخمر[1].

II- الكهنة وطبقاتهم:

(1) – حلمي محروس إسماعيل , المرجع السابق ، ص109، 110.

إن قيام الكهنة مرتبط بنشوء المعتقدات الدينية عن الحياة والكون والخلق والموت، فقد رسم تصور العراقيين ، تبعا لظروفهم المادية المختلفة، أفكارا خاصة في الديانة والمعتقدات، شأنهم في ذلك مثل بقية الشعوب القديمة، وقد كان ظهور الأبنية الدينية "المعابد" منذ فترات مبكرة من تاريخ الحضارة العراقية، دليلا على نضج أفكارهم الدينية وتوضح منهجها.

وعلى أية حال فإن الكهنة كانوا على أوثق ارتباط بالمعبد، فهم الوسيلة البشرية لتحقيق الغرض الديني من المعابد ، لذا يمكننا اعتمادا على هذا الأساس الافتراض بأن منشأ الكهنة مرتبط بمنشأ المعبد، كما يمكننا اعتبار أيضا أن أشكال الدمى الطينية والصور الموجودة في الأختام الاسطوانية دليلا على قيام أو نشوء الكهنة [1].

بالإضافة على هذا فقد كان لابد أن يكون لكل مرفق من مرافق الحياة اليومية قديما كان أو حديثا، جهاز يدير شؤونه الأساسية، وبالتالي فقد كان الكهنة هم الأجهزة التي تدير شؤون المعابد في العراق القديم[2]، وكانوا على درجات متباينة من كبير الكهان، منهم الشخصيات الكبيرة والمرموقة في سياسة الدولة إلى أدناهم رتبة حتى أصحاب الحرف، كل منهم حسب موقعه ونوعية عمله، فإنه يسهر على القيام بالواجبات الدينية المفروضة اتجاه المعبود[3]. (انظر الملحق: 15، ص110).

ولا ريب في أن واجباتهم كانت المحافظة على المعبد وموارده المالية في حالة جيدة، والتيقن من أن موظفي المعبد يؤدون واجباتهم بصورة فعالة [4]،كما كان أيضا الإشراف على خدمة الآلهة في معابدها ،وعلى إقامة الصلوات والطقوس من واجبات مجموعة من الكهان والكاهنات، وكان لكل واحد من هؤلاء لقب حسب المهمة التي يزاولها في المعبد، ولم تكن مهنة الكهنة مقصورة على الأمور الدينية فقط، بل كانت لهم مهام ثقافية ،وهي الأخذ بالمعارف واستنساخ التآليف الدينية والأدبية من

(1) – رضا الهاشمي , المرجع السابق، ص 264، 265.

(2) – فوزي رشيد وآخرون, المرجع السابق ، ص190.

(3) – معوشي سامية, المرجع السابق، ص 159.

(4) – فراس السواح ,**موسوعة تاريخ الأديان– مصر وسورية وبلاد الرافدين**، ط2، دار علاء الدين، دمشق، 2007. ص213.

وثائقها الأصلية القديمة، وكانت لهم مهام تعليمية أيضا كتعليم الخط المسماري وقواعد اللغة ،والإشراف على الجوانب الاقتصادية للمعبد[1].

وتشير أقدم المعلومات التاريخية عن الكهنة ، إلى أن الممثل البشري للآلهة كان يدعى "EN" بمعنى "السيد" أو "الكاهن الأعلى" ويحتمل انه كان ملكا-كاهنا في أن واحد[2]، فهو ينوب مناب الملك، ثم يأتي بعده جيشا من مختلف الرتب: فهناك الرقاة والمنشدون والسحرة والمنجمون ...الخ، ونجد كذلك في خدمة الآلهة الذكور، والكاهنة العظمى، وكانت لهم عدة وظائف داخل المعبد[3].(انظر الملحق: 16، ص111)

ومنذ الفترات المبكرة للمجتمع السومري، أي منذ عهد دويلات المدن السومرية، (في حدود الألف الثالثة قبل الميلاد)، حدث تطور في النظام الكهنوتي سار بموجبه نحو التبلور في الاختصاص والوضوح في الواجبات، فخرج الممثل البشري "السيد" من المعبد ليعيش في قصر منفصل، يمارس منه بشكل أساسي الوظائف الدنيوية، التي شهدت هي الأخرى توسعا وتعددا، ولكنه بقي يلعب دورا بارزا في شؤون الدين والمعبد، وصار يلقب بـ" Ensi"، وانفصلت بذلك الوظائف الدينية عن الدنيوية ،فبقي الكاهن الخادم المباشر اليومي لحاجات الآلهة[4].

ومنه فإن "EN" يمثل أعلى مرتبة في السلم الكهنوتي ،ولذلك كان شاغلها يختار من الأسر الملكية أو الأسر ذات المكانة الاجتماعية الكبيرة، وأطلقت النصوص المسمارية على هذا الكاهن التسمية "الاين-EN " وهي تفيد معنى كاهن أو كاهنة، أما اللغة الأكدية فقد أطلقت عليه " اينوم" إن كان كاهنا، و"اينتوم" إن كانت كاهنة.

ويتمتع الكاهن الأكبر بسلطات كبيرة، فكان في بداية التاريخ العراقي يجلس على عرش فخم يصنع خصيصا له ، ويبدو أن هذا العرش كان لا يختلف عن العرش الذي كان يجلس عليه الحاكم خلال الألف الرابع والنصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، وذلك عندما كان الحكم بيد السلطة

(1) – بلخير بقة, المرجع السابق، ص 52، 53.

(2) – رضا الهاشمي , المرجع السابق ، ص 266.

(3) – اندريه ايمار وجانين اوبوايه , **تاريخ الحضارات القديمة – الشرق واليونان القديمة–**،تر: فريد م داغر، ج1، ط2، منشورات عويدات، بيروت ،1986 .ص 168.

(4) – رضا الهاشمي , المرجع السابق ، ص 266.

الدينية حيث يُلقب حاكم دولة المدينة بلقب " الاين" كذلك، ومما يؤيد ذلك أن التسمية التي أطلقت على غطاء رأس كاهن الاينوم كانت تعني التاج[1].

أما الكاهنة "الاينتوم" فمن واجباتها القيام بدور العروسة في عملية الزواج المقدس ، و الكاهن "الاينوم" كان يقوم في بعض الأحيان وليس في كلها بدور العريس، واختيار هذا النوع من الكاهنات والكهنة كان يتم عن طريق استخارة الفأل ويتم تعيينهم بإرادة ملكية، والكاهنة " الاينتوم" كانت لا تسكن إلا في بناء خاص بها يسمى "كيبار"[2].

أما أصناف الكهنة فإنقسموا إلى فرعين أساسيين هما : الذكور منهم والإناث كل على انفراد، حيث كان لكل صنف منهم واجبات وأعمال تختلف إلى حد ما عن الصنف الآخر، والسبب الآخر المهم لهذا الفصل، وهو ما أورده قانون حمورابي من فقرات قانونية تخص الكاهنات فقط (المادة من 178الى 184)، فكان ذلك دافعا لدراستهم على انفراد.

وفيما يلي نورد أصناف الكهنة الرجال والنساء حسب أهميتهم ومراكزهم الدينية:

1- الكهنة الرجال:

- المراتب العليا: وتتضمن ما يلي ومرتبة حسب درجاتها:

* يمكننا أن نضع على رأس قائمة الكهنة من صنف الرجال مجموعتين متقاربتين في المركز: أولهما "الكاهن الأعظم" "Shanga machu" ،وكان يترأس مجموعة من الكهنة يدعون "Shangu " (بالسومرية Sanga) ، وأن هذه الوظيفة وهذا اللقب كانا أصلا يخصان الملك، ولكنه اتخذ لقبا لكاهن منفصل منذ منتصف الألف الثالثة، وكان واجبه الأشراف على الشؤون الدينية وخاصة تقديم الأضاحي.

أما الشخصية الثانية من المركز الأول فهو الحارس الكبير "Sheshgallu" (بالسومرية gal-Shesh) ، وهو المدير الرئيسي للطقوس والإحتفالات الدينية.

* أما الصنف الآخر من الكهنة الأكثر التصاقا بالمعبد وشؤونه ،هو من صنف " Erib-biti"، وهو الشخص الذي يمتاز عن غيره من الكهنة، أنه كان ذو علاقة بجميع أفراد المعبد ، وقد كان هذا

---

(1) - احمد أمين سليم, (**دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم**) ، المرجع السابق، ص 427.

(2) - فوزي رشيد وآخرون , المرجع السابق ، ص191.

الكاهن الشخصية الثانية بعد الدرجات العالية من سلك الكهنة، وأن طبيعة أعمال هذا الكاهن الوظيفية ،فقد كان مسؤولا عن سكب المياه النذرية أو الأشربة النذرية، وورد ذكره في نص يشير إلى أنه ذهب مع الملك إلى المعبد، وأنه أوصل حوض الماء لغسل اليدين إلى الإلهة عشتار.

* هناك أيضا صنف من الكهنة يدعى " مشماشو-Mashmashu" و" اشيبو-Ashipu "،[1] وهذا الأخير يعنى بطرد الأرواح الشريرة، وكان يأخذ دور الطبيب النفسي في المعالجات الطبية، وكان يسمي نفسه برجل الإله "ايا"،لأن هذا الإله هو إله السحر والطب معا[2].

ومنه فإن واجبهما الرئيسي كان يتعلق بعمل الرقي والتعاويد ، ولا سيما للمرضى والمرأة الحامل، ولم يكن عملهم يجري أساسا في المعبد، ولكن في بيت الشخص المعالج، فمن معتقدات العراقيين القدامى، أن المرأة الحامل معرضة للأمراض الخبيثة بفعل الأرواح الشريرة، وعليه لحماية نفسها أن تدعو الاشيبو ليربط لها الحرز المقدس ويتلو التعاويد الخاصة، لحمايتها من قبل الروح الشريرة، ومثل ذلك كان يجري للمرضى[3]، ومن مهامه أيضا هي المساهمة في الطقوس الخاصة بتطهير المعبد[4]،ويتوجب عليه أيضا ارتداء الرداء الأحمر، لأن اللون الأحمر هو اللون الواقي من الأرواح الشريرة [5]، أما مكان تواجده فقد كانت مدينة اريدو الموطن الأول لكهنة الاشيبو ،فقد وردت على لسانهم جمل تؤكد ذلك مثلا "أنا الاشيبو طارد الأرواح الذي خلق في اريدو".

وكانت منزلة كاهن الاشيبو رفيعة في نظر العراقيين القدامى، بسبب الأعمال التي يقوم بها ،وبسبب توسطه بين الإله والمريض، وكان هناك من يعتقد أن بعض صفات الآلهة كانت تحل فيه وأن بعض أعضاء الآلهة وحواسها موجودة في جسد الكاهن وأنه ينطق بكلام الآلهة. وكانت علاقة الاشيبو بالآلهة جميعها واضحة، ولكن علاقته الرئيسية كانت بالإله "أيا" والإله "مردوخ" لعلاقتهما المباشرة بالطب والتعاويد والرقي.

---

(1) – رضا الهاشمي , المرجع السابق، ص ص 269 -271.

(2) – خزعل الماجدي, **إنجيل بابل**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، 1998. ص 286.

(3) – رضا الهاشمي , المرجع السابق، ص 271.

(4) – فوزي رشيد وآخرون , المرجع السابق ، ص193.

(5) – شيماء ماجد كاظم, **طرد الشياطين الأرواح الشريرة في نصوص بلاد الرافدين**، مجلة كلية الآداب، العدد96 ،مركز إحياء التراث العلمي العربي، بغداد، (دت). ص30.

أما الكاهن مشماشو فهو الكاهن المطهر للجسد، فهو يشترك في بعض مهام الاشيبو كطرد الأرواح الشريرة، إضافة إلى أنه مكلف بمسح الأجساد بالزيت باعتبارها جزءا من عملية طرد الأرواح الشريرة، وكان يقوم بهذه المهمة داخل منزل المريض[1].

* ويوجد أيضا كهنة من صنف "Kalu" (بالسومرية Gala)، وهم الكهنة المسؤولون عن موسيقى المعبد، ويتلخص واجب الكاهن من هذا الصنف، كما يرد في النصوص القديمة "لتهدئة قلب الإله بموسيقاه"، وذلك بإنشاد التراتيل وإقامة القداس الديني برفقة الآلات الموسيقية، ومن أهم الآلات التي يبدو أن لها صفة قدسية هو الطبل "Lilissu" وانه كان يستخدم غالبا في احتفالات رأس السنة الجديدة، كما كان لهذا الصنف من الكهنة علاقة بطرد أو إحضار الأرواح الشريرة.

* والصنف الآخر من الكهنة يدعى " نارو -Naru "، وكان واجبهم تشكيل فرق إنشادية لتلاوة القداس الديني، وكانت طبيعة عملهم تقضي مشاركتهم الصنف السابق في ترتيل الأناشيد والأغاني الحزينة في المناسبات الدينية برفقة الآلات الموسيقية، كما أن بعض النسوة الكاهنات كن يشتغلن في مثل هذه الأعمال أيضا[2].

* الكهنة من صنف " بارو-Baru "، فقد أطلق السومريون تعابير متعددة على العراف مثل(ايزو i-zu) و (لوحال lu-hal) [3]، وهم العرافون أو الكشافون، الذين يتركز عملهم في كشف الفأل وتفسير الأحلام أو العلامات الفارقة، لذا كان دورهم في الحياة العامة خطيرا، بخاصة في شؤون الدولة والملك[4].

وكانت مهنة العرافة وثيقة الصلة بالمعبد، لأن العراف كان كاهنا من كهنة المعبد، وتوضح النصوص المسمارية ارتباط العراف بالقصر، فكان الملك يستشير قبل اتخاذ القرارات الهامة لمعرفة

(1) – خزعل الماجدي, (**بخور الآلهة**)، المرجع السابق،ص ص367- 371.

(2) – رضا الهاشمي , المرجع السابق ، ص 272، 273.

(3) – خزعل الماجدي, (**بخور الآلهة**)، المرجع السابق، ص 262.

(4) – رضا الهاشمي , المرجع السابق ، ص 273.

مشيئة الآلهة بخصوصها[1]، ومهنة "البارو" كانت وراثية لأنه يجب أن يكون من نسل كاهن وخارج من كاهن طاهر، وعليه أن يلبس الملابس النظيفة [2].

* بالإضافة إلى هذه الأصناف هناك وظائف كهنوتية أخرى منها: وظيفة صناع المعبد أو الحرفيون "Mariummani"، وحامل السيف "Nash-Patri "، وكان الأول مكلفا بتحضير التماثيل أو المشبهات الأخرى المطلوبة في الأعمال الطقوسية، بينما كان حامل السيف يعمل كالجزار في ذبح الحيوانات المضحى بها، وبنفس الوقت كان مسؤولا عن قطع رؤوس التماثيل المعمولة لإجراء الطقوس عليها.

* ومن الأصناف الأخرى من الكهنة ، وظيفتي " رامكو Ramaku " و " باشيشو Pashishu "، وكان عملهما يقتصر على الغسل والتدهين الطقوسي، الذي كان يجريه المتعبدون قبل المباشرة بالطقوس الدينية، وكان الموضع الخاص لإجراء الغسل الطقوسي في المعبد يدعى " بيت الوضوء أو الغسيل"Bit-rimki"[3].

2- الكاهنات النساء:

شغلت النساء في العراق القديم وظيفة الكهانة، فكان من الجائز أن تكون النساء كاهنات وساحرات وعرافات ومغنيات، وسنتناول فيما يلي بعض درجات الكهانة التي شغلتها النساء[4].

- المراتب العادية: وتتضمن ما يلي ومرتبة حسب درجاتها:

* يمكننا أن نضع على رأس قائمة الكهنة من صنف النساء، الكاهنة العليا " الاينتوم-Nin Dingir" ، فقد كانت هذه الكاهنة خلال العصر السومري القديم ارفع منزلة من كاهن الاينوم، لأن النصوص المسمارية تذكر اسمها باستمرار قبل اسم الكاهن حتى لو كانت زوجة له، ونفس

---

(1) - احمد أمين سليم, (**دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم**) ، المرجع السابق، ص 430.

(2) - سامي سعيد الأحمد, **معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور** ،العدد2، جامعة بغداد، بغداد، 1977. ص 75.

(3) - رضا الهاشمي , المرجع السابق ، ص 274.

(4) - احمد أمين سليم, (**دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم**) ، المرجع السابق، ص 433.

هـذه المعلومـات قـد أكـدت علـى أن الـزواج وإنجـاب الأطفـال كـان مسـموحا لهـذا النـوع مـن الكاهنات[1].

* أما الصنف الثاني من الكاهنات يدعى بـ"ناديتوم Naditum" باللغة الأكدية ،أي النادية وهي المرأة التي نذرها أبوها للخدمة في معبد أحد الآلهة ، فكان لكل إله نادية مثل :نادية ننورتا ونادية نانا وغيرهم[2]. وهذا النوع من الكاهنات يأتي بالمرتبة الثانية بعد مرتبة كاهنات الاينتوم، واسم الناديتوم يكتب بالعلامة المسمارية التي تلفظ سومريا "لوكور Lukur" والتي تتألف أصلا من علامتين: الأولى تدل على المرأة، والثانية تدل على القوى الإلهية، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن معنى " لوكور" يرمز إلى المرأة التي تحمل نوعا من القوة الإلهية ،واختيار هذا النوع من الكاهنات لا يتم عن طريق استخارة الفأل، وإنما عن طريق نذرهن إلى المعبد منذ الولادة، والمعلومات المتوفرة تؤكد على أنهن جميعا بنات لكبار موظفي الدولة، ونفس المعلومات تؤكد على تمتعهن بحق الزواج ،ولكن بشرط عدم إنجاب الأطفال، ولهذا السبب كانت "الناديتوم" تهدي زوجها امرأة من وسط ديني تدعى "شوكويتم"، لتقوم مقامها بعملية إنجاب الأطفال لزوجها، وأطفال "الشوكويتم" يعتبرون في نفس الوقت أطفال "الناديتوم"، والمكان الطبيعي لسكنى كاهنة "الناديتوم " هو الـ" ككوم"، والذي يمكن أن نشبهه بالدير [3]، فهو بناء أو جزء من أبنية المعبد، وكان لهذا القسم حارس خاص وحاكم للقضاء في الأعمال الخاصة بالناديتوم، كما أن لهذا القسم موظف خاص لإدارة شؤونه[4].

* أما الكاهنات من صنف "نو كيك Nu-gig" ،والتي تسمى بالأكدية " قديشتوم Quadishtum"، أي القديسة ،وتعني كلمتها بالسومرية (الخالية من الأمراض)، وقد ترجمها بعض الباحثين ببغية المعبد[5]، ومنه فقد يحق للقديشتوم الزواج وإنجاب الأطفال، وكثيرا ما تشير النصوص إلى أنها تعمل كمرضعة، والى أنها أيضا استعملت كلقب للإلهة عشتار، ولفظت اشتاريتوم،

(1) – فوزي رشيد وآخرون , المرجع السابق ، ص191.

(2) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص276.

(3) – فوزي رشيد وآخرون , المرجع السابق ، ص192.

(4) – رضا الهاشمي , المرجع السابق ، ص 284.

(5) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص276.

والقديشتوم تعمل في خدمة القصر والمعبد في آن واحد، ولذلك فهي لا تعتمد في عيشها على المعبد فقط[1].

* إلى جانب هذا يوجد صنف يسمى بـ "نوبارNu-Bar" ،وتسمى بالأكدية "كلماشيتو Kulmshitu"، ومعناها المنذورة أو المكرسة، وتنحدر المنذورة من العوائل الغنية ، ولها الحق بالزواج، ولم تكن المنذورة تعيش في المعبد بل في بيت أبيها حتى الزواج[2]،فقد كانت لها حرية الاختيار في السكن، كما كان يحق لها الزواج وإنجاب الأطفال[3].

* في حين يوجد صنف آخر من الكاهنات تدعى بـ "الأخت العلمانية أو الشوكيتم-" Shugetum"، فمعنى اسمها لا يزال الباحثون مختلفين في تحديد معنى هذه التسمية، فمنهم من يترجمها بالمرأة المطوقة، ويرى آخرون فيها معنى المرأة الكبيرة في السن أو العتيقة، والمتفق عليه ،أن "الشوكيتم" كانت امرأة ثانوية في المركز سواء كانت زوجة أم كاهنة.

وسبب اعتبارها واحدة من الكاهنات، أن اسمها يرد دائما بمعية الكاهنات الأخريات، كما أن قانون حمورابي أشار إليها في المواد الخاصة بالكاهنات وحقوقهن وواجباتهن، وأخيرا لأن لفظة "شوكيتم" وردت في النصوص باعتبارها إحدى صفات الإلهة عشتار، فيشير ذلك كله إلى أنها واحدة من السلك الكهنوتي[4].

أما عن واجباتها ،فقد كانت في بعض الأحيان زوجة ثانية لزوج كاهنة "الناديتوم" وواجبها في هذه الحالة إنجاب الأطفال ، إلا أن ذلك لا يعني أن تكون هي بالضرورة دائما زوجة ثانية ،بل المعلومات تؤكد على أنها في كثير من الأحيان زوجة لرجل خاص بها وليست زوجة ثانية، ومن أهم واجباتها الدينية هي المساهمة في مراسيم الزواج المقدس ،وخاصة مرافقة العروس ليلة الزفاف وهي بأجمل ملابسها وحليها[5].

(1) – فوزي رشيد وآخرون , المرجع السابق ، ص193.

(2) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص278.

(3) – احمد أمين سليم, (**دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم**) ، المرجع السابق، ص 434.

(4) – رضا الهاشمي , المرجع السابق ، ص 289.

(5) – فوزي رشيد وآخرون , المرجع السابق ، ص 192، 193.

ومنه وعلى أية حال، كانت الوظائف الكهنوتية، مع بعض الإستثناء، وراثية في العوائل، كما أن بعض المراكز كانت محصورة في طبقات خاصة من المجتمع، كما هو الحال في منصب "الانتوم "و الكاهنة العليا " الاينتوم" و"الناديتوم" الكاهنة، حيث كانت هذه المناصب مقتصرة في الغالب على العائلة المالكة[1]، هذا من جهة ومن جهة ثانية ، فقد كان الكاهن يتلقى راتبا مقابل وظيفته الكهنوتية، كما أن بعض الكهنة كان يجمع في شخصه عدة وظائف في آن واحد.

أما عن عدد الكهنة في كل معبد، فيعتمد على أهمية المدينة وموقعها السياسي والاقتصادي والديني، كما أن العدد يختلف من معبد لآخر استنادا إلى أهمية الإله ومركزه في النظام الكوني[2].

(1) – رضا الهاشمي , المرجع السابق ، ص 291.

(2) – نفسه ، ص 293.

III- دور مؤسسة المعبد في سومر:

1- الدور السياسي:

لقد ذهب العراقي القديم في تفكيره الى الاعتقاد بان الملكية (السلطة) وُجدت قبل أن يُوجد من يمارسها على الأرض، اذ كانت قابعة السماء تُمارس من قبل الآلهة، حيث كانت الشارات الملكية موضوعة عند دكة عرش الإله "آنو" ، ثم نزلت إلى الارض كما جاء في قائمة الملوك السومرية: "بعد أن هبطت الملكية من السماء..."، ولأن الملكية نزلت من السماء ، فقد أخذت طابعا قدسيا، لذلك عمل السومري على أن تكون حياته السياسية تسير وفق نمط مماثل حيث الحالة على الأرض ماهي إلا صورة مماثلة عن تلك الحالة التي يحياها الأرباب في السماء، ولا يمكن تنفيذ أي أمر دون أخذ موافقة مجلس الآلهة، فعندما أراد " انليل" ترشيح ابنه " مردوخ" لمنازلة "تيامة" فقد حصل لذلك على موافقة مجلس الآلهة.

بإعتبار أن الملكية هبة من الآلهة، فإن هذه الأخيرة هي التي كانت تختار من يمثلها في ممارسة السلطة على الأرض، وهذا الاختيار يتم إما في اطار الحظوة التي تضفى من قبل الإلهة على هذا الشخص أو ذاك ليكون ملكا، أو عن طريق النظرة الإلهية التي يلقيها الإله على ملك المستقبل، فإذا رفع الإله ببصره نحو ملك المستقبل فإن ذلك سيكون كدليل على تفضيله له لممارسة السلطة على الأرض.

بعد أن الالهة هي التي تختار من يمثلها على الأرض، والمعبد هو المكان المقدس لإقامتها، فقد شكل هذا الأخير مركزا لممارسة العديد من النشاطات السياسية والتي يمكن ابرازها فيما يلي[1]:

أ/ تتويج الملك: لقد شكل المعبد مقرا سياسيا لولاية العهد وتتويج الملك، إذ كان يتم فيه تنصيب هذا الأخير وتقليده الشارات الملكية، التي كانت تمثل بالنسبة له اختيار الإله، وكان الملك يحدد اختياره لمن يخلفه في الحكم أثناء حياته، وحتى تتقرر شرعية حكم الملك المستخلف كان يتم

(1) – معوشي سامية، المرجع السابق ، ص 184، 185.

استحصال موافقة الالهة عن طريق الكهنة، وذلك بواسطة الأحلام او الفؤول او بعلامات يفسرونها، ومن ثمة تبدأ مراسيم تتويج الملك والتي تتأكد بمساهمة الألهة في هذه الطقوس[1].

ب/ تنفيذ القرارات السياسية:

* الحروب: إن قرار اعلان الحرب هو قرار إلهي، وهذا القرار يتخذ عادة صيغة الأمر الإلهي المعبر عن الإرادة الالهية، ففي كل مرة تعلن فيها الحرب لابد أن يكون هناك أمر الهي بهذا الخصوص، وباعتبار المعبد هو مقر إقامة الإله، فقد كان الملك يحصل على موافقة الآلهة لتنفيذ هذا القرار السياسي منه[2].

* إبرام المعاهدات: إن ما يقال بخصوص اعلان الحرب يقال بخصوص ابرام المعاهدات، فالملك كان ملزما على الذهاب الى المعبد للحصول على تأييد الآلهة بقصد ما ينوي القيام به، بل إن الملوك كانوا يلجأون إلى قراءة الطالع للحصول على التوجيهات الإلهية حول كيفية استقبال الرسل والسفراء، وإبرام المعاهدات كان يستوجب أداء القسم بحياة الآلهة لتكون شاهدة على القسم، وعلى الإتفاق الذي تم بين الطرفين أو الآطراف المتحالفة، وكان الحنث بالقسم ونقض المعاهدة يعد من الذنوب والآثام الجسيمة التي ترتكب ضد الآلهة، وبالتالي كان على الطرف الذي يحنث بيمينه أن يتحمل مسؤولية حنثه وعقاب الآلهة له بالعقاب الذي نصت عليه بنود المعاهدات المبرمة[3].

2- الدور الإقتصادي:

أ/ الزراعة: اعتمدت الحياة الاقتصادية في بلاد الرافدين على الزراعة الدرجة الأولى، لأنها نشأت في بيئة زراعية تفيض عليها المياه الغزيرة من نهرين دجلة والفرات، ولأجل ذلك إهتم الملوك و الحكام بشق القنوات في انحاء البلاد العراقية لتحصيل مياه النهرين لري الحقول والمزروعات المختلفة كما اهتموا بالملكية الزراعية للأراضي[4].

(1) – معوشي سامية، المرجع السابق ، ص 186.

(2) – نفسه ، ص 190.

(3) – فوزي رشيد وآخرون، المرجع السابق ، ص 125.

(4) – حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق ، ص 102 ، 103.

كانت الزراعة قبل ظهور الدولة المدينة، كانت تقوم على نوع من المشاعية البدائية القائمة على الملكية الجماعية للأرض وما عليها، أي أن الملكية العامة للمشترك القروي كانت هي أساس البنية الاقتصادية في غياب كامل للملكية الخاصة، ولكن مع بداية ظهور الدولة المدينة، بدأ يظهر تغيير كامل في البنية الإقتصادية، فقد أصبح المعبد نقطة الارتكاز المعنوية والمادية في حياة العراقي القديم، فكانت كل مدينة تقوم بعبادة إله خاص بها تشيد له هيكلا في وسطها، ويعتبر هذا الإله مالكا لكل شيء فيها.

ولما كانت المدينة ملك الإله الحامي والمعبد هو الوسيط بين الإله والناس، فإنه يفترض أن المعبد مارس دور راعي ممتلكات المدينة من أراضي وحقول وبساتين لصالح إله المدينة الحامي قبل ظهور الملك في فترة لاحقة، وبهذا شكل معبد إله المدينة مركزا ومقرا اقتصاديا يمتلك كل الأراضي المزروعة والصالحة للزراعة، ويقوم كل الناس بخدمة المعبد والعمل في ممتلكاته، وبذلك لم يكن المعبد مركزا دينيا فقط، بل أيضا مركزا اقتصاديا للجماعة السومرية القديمة التي تعيش حوله[1].

أما عن المحاصيل والعمليات الزراعية، لعل من أهمها الذرة والقمح والشعير، والتمور والفواكه المختلفة والخضروات والسمسم والزيتون، أما الحبوب فقد كانت تزرع على أراضي واسعة تابعة للمعبد أو القصر الملكي، وتتولى إدارتها والإشراف عليها جمعيات زراعية.

استخدم السومريون في بادئ الأمر فئوسا من الحجر لحرث الارض، مثل الفئوس التي استخدمت في العصر الحجري الحديث، وبعد مدة ظهر المحراث الخشبي[2].

ب/ الصناعة: تعتبر الصناعة الركن الآخر المهم الذي قامت عليه الحياة الاقتصادية في بلاد سومر، وتشير المكتشفات الاثرية الى ان هؤلاء قد استغلوا منتجاتهم الحيوانية والنباتية وصنعوها مواد غذائية وألبسة وحاجات أخرى، كما استوردوا المواد الخام من البلدان الأجنبية وصنعوها، فتقدمت عندهم

(1) – معوشي سامية، المرجع السابق ، ص 193، 194.

(2) – حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق ، ص 103.

الصناعة الا انها كانت يدوية بسيطة، وفي العصور المبكرة لم تكن الصناعات متخصصة فاحتفظت كل جماعة بأسرار حرفتها، وغدا تعلم الحرفة تنتقل من الأب إلى ابنه وقلما تنتقل إلى أسر جديدة.

ومنذ عصر فجر السلالات يبدوا ان المعابد الكثيرة المنتشرة في المدن السومرية كانت تسيطر على معظم الحرف والصناعات، فقد كان لكل معبد عدد من المشاغل، وكانت هذه المعابد تتصرف بأعداد هائلة من العمال والفلاحين والرعاة والبساتنة من رجال ونساء وصبيان وذلك لقاء أجرة معينة يدفعها لهم المعبد[1].

لعل من أهم الصناعات نذكر: صناعة المنسوجات والمفروشات، وصناعة الادوات والاواني الفخارية والخزفية، وصناعة الطوب لبناء المساكن وأسوار المدن، وكان البرونز (مزيج من النحاس والقصدير) يستخدم في صناعة الأسلحة، كما صنعت الحلي وأدوات الزينة من الذهب والفضة[2].

ج/ التجارة: لم تكن شهرة حضارة بلاد الرافدين بالتجارة أقل من شهرته بالزراعة أو الصناعة، وقد كان للموقع الجغرافي أثر كبير في جعلها مركزا تجاريا هاما، وليس أدل على أهمية موقعها وأثره في تنشيط تجارتها من أنها استطاعت أن تقيم علاقات تجارية منذ أقدم الأزمنة مع مناطق نائية كالهند وبلاد القوقاز وغربي آسيا الصغرى، كما أن لإفتقار أرض الرافدين إلى بعض المواد الخام الضرورية كالمعادن والأخشاب اثره في دفع العراقيين القدماء للعمل على توفير تلك المواد الخام من الخارج، وكان من نتائج الإهتمام المتزايد بالتجارة ان ابتدعت الوسائل الكفيلة لتنشيط التجارة كالعجلة والسفينة، واستخدام نظم دقيقة للموازين والمكاييل، واستخدام الحبوب والمعادن كوسيلة لتقييم أثمان السلع والأجور بدلا من النقود التي لم تعرف حتى القرن السابع قبل الميلاد.

كما أدى الاهتمام بالتجارة إلى قيام تنظيم مالي ومصرفي يشهد بالتقدم الذي وصل اليه سكان بلاد الرافدين في هذا المجال، فقد كان الإقراض بالفائدة شائعا عندهم، وعرفوا أيضا الى جانب الإقراض أمور اخرى تدل على تقدمهم في أصول المعاملات التجارية، كالإيجار والإيداع والرهن

(1) – معوشي سامية، المرجع السابق ، ص 208.

(2) – حلمي محروس اسماعيل، المرجع السابق ، ص 104.

والضمان والشراكة لأمد قصير او طويل والمضاربة والسمسرة وأصول الحوالات التجارية وغير ذلك مما له علاقة بالعمل التجاري بشكل عام.

كانت التجارة خلال الألف الثالث قبل الميلاد تتم باسم المعبد، وتُدار بأيدي كهنة المعابد قبل ان تنتقل فعالياتها إلى القصر، وزاولها التجار كموظفين يتقاضون أجرا على عملهم، غير أن هذا الوضع تغير مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد، حيث وجد إلى جانب تجارة القصر أو المعبد تجار احرار يزاولون عملهم لحسابهم الخاص[1].

3- الدور الثقافي:

أ/ ظهور الكتابة في المعبد: تعد الكتابة أهم محصلة حضارية كبرى حققها العراقي القديم، وتأتي على رأس الدلائل المادية للنضوج الحضاري، إذ كان لها الفضل الكبير في وضع أصول التاريخ المدون للبشرية،كما تركت أثرا كبيرا على مجمل الحضارة الإنسانية ولولاها لما استطاع الإنسان أن يسجل علومه ومعارفه وتراثه وينقله إلى الاجيال[2]، ويمكن اعتبار ادارة المعبد لها الفضل ايضا في ظهور وسيلة التدوين، وقد نشأت الحاجة الى الابداع في الكتابة والحساب ورصد الكواكب، وذلك لتدوين السجلات والصلوات مسك دفاتر الهيكل، وحفظ اوقات السنة الصالحة لزراعة أنواع الحبوب أو الأمينة من الفيضان أو الجفاف، وكما كان للجانب الديني المعبر عن القوى الإلهية دوره في ظهور الكتابة وقد كانت أداة لتسجيل الشؤون الدينية ومحاولة الإحتفاظ بالطلاسم السحرية و الإجراءات المنيعة في الإحتفالات الدينية والمراسم والقصص المقدسة والصلوات والتراتيل[3].

ب/ التعليم: لقد اقتضى إتقان الخط المسماري ومعرفة اللغة السومرية أن نشأ بحضارة وادي الرافدين معاهد للتعليم ومؤلفات في شرح العلامات المسمارية ومرادفاتها، وباعتبار المعبد كان أول ميدان رحب نمت فيه العلوم والآداب وترعرعت فيه أولى مبادئ الكتابة والتدوين، فقد احتضن أولى أنواع المدارس،

(1) – معوشي سامية، المرجع السابق ، ص 213، 214.

(2) – نفسه ، ص 222.

(3) – بلخير بقة، المرجع السابق ، ص 65 ،66.

وذلك منذ العصور السومرية المبكرة، وقد كانت هذه المدارس ضمن أحد أجنحة المعبد، أو ملحقة به، وكان الكهنة فيها المعلمين الأوائل والمؤسسين الفعليين لتلك المدارس، وقد تم الكشف على نماذج غزيرة من التمارين المدرسية في أحد اروقة معبد "عشتار" بالوركاء تعود بتاريخها إلى الفترة السومرية، كما عثر على مشابهات لهذه الرقم المدرسية في المدينة السومرية العريقة نيبور، وذلك في معبد الإله انليل، ويستدل من البقايا الأثرية أن معظم المدارس الملحقة بالمعابد، أغلبها كانت في المعابد المكرسة لعبادة الإله "نابو"[1].

ج/ حفظ السجلات والوثائق: كانت مؤسسة المعبد مركزا كذلك لحفظ السجلات والوثائق ذات المضامين المختلفة في دور ملحقة به تعرف بـ" خزانات الألواح" (الأرشيفات)، وكان يقوم على شؤون تنظيم هذه النصوص وجمعها موظفون مختصون، وربما كان الكاهن خازنا لكتب المعبد، ومن واجباته العناية بحفظ الألواح والإستعاضة عن الألواح القديمة المهمشة أو الطامسة الكتابة بألواح جديدة سليمة الكتابة، ومما عليه أيضا أن يهتم بتوسيع الخزانة، بالحصول على نسخ الوثائق القديمة من الخزائن الأخرى[2].

(1) – معوشي سامية، المرجع السابق ، ص 226، 227.

(2) – نفسه ، ص 234، 235.

الفصـل الثالث

الطقـوس السومريـة

I- الطقـوس اليوميـة.

II- طقـوس المناسبـات.

III- الطقـوس الدوريـة.

IV- الطقـوس السريـة.

الطقوس من الشعائر والأعمال الدينية التي تشكل الجانب العملي من العقائد واللاهوت، وتعبر عن بعض جوانب الميثولوجيا، وتكسبها صفة الديمومة والاتصال مع اللاهوت، حيث انه لا يوجد دين بلا طقوس، فهاته الأخيرة تشكل أهم مستلزمات الدين، وتتجلى العبادة بإجراء جملة من الطقوس سواء كانت طقوس يومية بممارسة طقوس التطهير والصلاة، أو طقوس تتماشى وفق أحداث يمر بها الإنسان من زواج وولادة وموت، إلى جانب هذه الطقوس توجد طقوس أخرى كانت لها دور كبير في الجانب الديني في سومر من طقوس الأعياد إلى طقوس أخرى والتي اصطلح عليها بالطقوس السرية.

I- الطقوس اليومية:

آمن أهل الرافدين أن الإنسان قد خلق ليعبد الآلهة، ويقيم لها المعابد والطقوس الواجبة، ويقدم لها القرابين، وإذا لم ينفذ الإنسان تلك المناسك عوقب في الدنيا عقابا شديدا[1].

فقد كانت الطقوس الدينية اليومية بمثابة الدليل الذي يقدمه السومري على تقواه أمام الآلهة والكهنة والناس وأمام نفسه قبل ذلك كله.

1- **طقس الصلاة:** ليس المقصود بالطقوس الدينية اليومية الطقوس التي يمارسها السومري كل يوم بل الطقوس الدينية الشائعة والتقليدية[2]، وما يدل على هذا ما جاء في إحدى نصائح الحكمة:

«اعبد إلهك كل يوم،

وقدم له القرابين والصلوات،

التي تتم على أكمل وجه مع تقديم البخور،

قدم قربانك طائعا لإلهك،

لان ذلك يتناسب مع الآلهة.

قدم له الصلاة والضراعة والسجود كل يوم،

وسوف تثاب على ما تفعل.

---

(1) – عبد الحميد زايد , المرجع السابق, ص 149.

(2) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص 311.

عندئذ سيكون بينك وبين الله اتصال كامل،
إن التبجيل يولد الحظوة،
والقربان يطيل الحياة،
والصلاة تكفر عن الذنب».[1]

لهذا تعتبر الصلاة أهم الطقوس في الديانة، وحلقة وصل بين الأرض والسماء أو بين الإنسان والإله، وارتبطت بممارسات محددة يتقدمها التطهير التام والوضوء بغسل اليدين والركوع والسجود ورفع اليدين إلى الآلهة، والتمتمة ببعض الابتهالات والأدعية بما فيها الشكاوي والتوسلات، وعبارات الشكر والطاعة والعفو والمغفرة، وبذلك شكلت الصلاة طريقة الاتصال الفردي بالإله لقصد تحاشي غضبه وعقابه وكسب رضاه واستعطاف بركاته، وعبرت عن الورع والخوف والخشوع ومحاولة تحقيق السلام الروحي للفرد وضمان مسيرة حياة المتعبد وتحقيق أمنياته وتطلعاته من حيث الرخاء والصحة والأولاد وطول العمر وغير ذلك، أي عند معصية الخالق يعتبر الشخص المسؤول عن مصيبته وخيبته في غياب الحماية الإلهية[2].

بالإضافة إلى هذا، فقد كانت هناك أنواع كثيرة من الصلوات، منها ما يقوم به الفرد بنفسه بدون وساطة كهنة المعبد، وكانوا إلى جانب الدعاء في الصلوات يقومون ببعض الإشارات منها رفع اليد مع الدعاء، وصلاة التوبة والاستغفار ومثلت أوضاع بعض المصلين وهم بهيئة ركوع أمام تماثيل الآلهة، ومن المناسك أيضا ما يقوم به الكهنة كذبح القرابين إلى جانب حرق البخور وسكب السوائل المقدسة[3].

ضف إلى هذا، يستطيع المتعبد الثري، بدلا من القيام بنفسه بالصلاة والنواح، أن يودع المعبد شيئا مناسبا على سبيل الهدية (تمثالا صغيرا، بعض الأواني النحاسية، شاهدا)، وتوضع هذه الأشياء على مقربة من تمثال الإله لتذكره بالطلب أو لتشكره على النعمة، وقد تكتب الصلوات كذلك على هيئة

(1) – جفري بارندر , المرجع السابق ، ص 23.
(2) – بلخير بقة, المرجع السابق، ص 54.
(3) – طه باقر, **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة** ,ط2، دار المعلمين العالمية، بغداد، 1955 . ص256، 257 .

رسائل توجه بطريقة مناسبة، وتكتب عادة في شيء من التفصيل عارضة الشكوى والالتماس أو الاحتجاج أو الصلاة[1].

2- **طقس الطهارة:** احتلت شعائر التطهير مكانة محورية ضمن عموم الشعائر الدينية الشائعة، وكانت تهدف بالدرجة الأولى إلى إزالة مظاهر القذارة الخارجية المتنوعة، وكذلك الدناسة الداخلية، وقد برزت ضرورتها خلال ممارسة شعائر المعابد والشعائر الخاصة، وكذلك في القصر الملكي، وكذا في مجال الممارسات السحرية، وأبرز وسائل التطهير، الماء ولا سيما المياه الجارية، والزيت كما كانت ثمة بعض النباتات التي تتمتع بخاصية التطهير، وقد شهدت المعابد ممارسات تطهيرية يومية وأخرى سنوية تجري خلال الإحتفال بعيد رأس السنة، وكان تدشين المعابد يتضمن أنواع خاصة من التطهير[2].

أ/ **طقس احراق البخور:** كان الكهنة المطهرون هم الذين يقومون به بالدرجة الأساس، ولكن كهنة من أصناف أخرى كانوا يقومون به مثل الكاهن "اشيبو" فقد كان إحراق البخور يلازم التعزيم وذلك لإعتقادهم بأن مادة البخور، كانت تقوم بطرد الأرواح الشريرة، لأن مادة البخور عندما تملأ المكان فإنها تحاصر هذه الأرواح وتجعلها تخرج من الأبواب والشبابيك خصوصا أن البخور يشبه الأشباح التي كان يعتقد أنها شكل الأرواح الشريرة.

وكانوا في المعابد يقيمون دكة عالية يوضع عليها ما يشبه الموقد، وفي هذه الأخيرة تطرح مادة البخور كطقس يومي أو مرافقة لطقوس أخرى، أو أنهم يستعملون الموقد المقدس ، وكان هناك أيضا أوعية خاصة بالبخور يمسكها الكهنة بأيديهم عندما يقومون بعمليات التعزيم.

لم يكن البخور لوحده هو الوسيلة الوحيدة للتطهير وطرد الأرواح الشريرة، بل كان سكب السوائل (الماء والزيت بشكل خاص) هما السبيل إلى ذلك أيضا، وكان سكب الزيت يتم بشكل خاص عند الزواج حيث يسكب على رأس العروس، ولا شك أيضا أن سكب الزيت والمسح به كان يجري عند تنصيب أو تتويج الملك، وكان هناك إناء خاص لسكب الماء المقدس. (انظر الملحق: 17، ص112.)

ب/ **طقس غسل الفم:** كان هناك طقس يجري على أساس أن التماثيل الجديدة للإله تمنح الحياة بهذا الطقس، والمتمثل في طقس غسل الفم، ويجرى بعد أن توضع جرتان مملوءتان بالماء المقدس في

(1) – جفري بارندر , المرجع السابق ، ص 23.

(2) – بلخير بقة, المرجع السابق، ص 55.

مكان التمثال وقطعتان من القماش حمراء وبيضاء إلى جانبه، ثم تقدم الأضاحي إلى ذلك الإله ويرافقها غسل فمه بواسطة أعشاب كالأثل وسبعة أعواد من الأرز وقطعة قماش وملح وصمغ الأرز ودهون وأحجار كريمة وزبد، ويتم ترديد بعض العبارات الطقسية الخاصة بذلك، وتقدم هنا الأضاحي مرة ثانية، ويتم كذلك غسل الفم مرة ثانية أيضا، وفي الأخير يوضع التمثال في المعبد المقرر، وبذلك تكون هذه الطقوس بمثابة عمليات حقن التمثال الذي صنعه الحرفي[1].

أما بالنسبة لطعام هذه الآلهة، فقد كان يخصص جزء من الطعام لتمثال الإله، حيث كانت ترسل إلى المعبد أجود منتجات الحقول الزراعية والبساتين وقطعان الماشية ، وبعد تقديم وجبة الطعام إلى تمثال الإله ترسل الأواني إلى الملك لكي يأكل منها وخاصة في بعض المناسبات، وكان الطعام المقدم إلى الإله يعتبر مباركا، وتنتقل البركة إلى الملك الذي يأكل منه، وعند الانتهاء من وجبة الطعام الرئيسية للإله كان يقدم الماء في إناء لتنظيف أصابع تمثال الإله، وهذا الماء كان يعتبر أيضا مباركا[2]، ويبدو أن مائدة الطعام كانت توضع أمام تمثال الإله عليها عدد من الأواني التي تحتوي على الماء والسوائل وشرائح اللحم والفاكهة، وفي الغالب كانت هذه المائدة تقدم إلى الملك بعد ذلك لكي يتبارك بها أو ليتم الإيحاء بالصلة بين الإله والملك[3].

3- **طقس تقديم القرابين:** كانت القرابين أيضا من الطقوس اليومية التي كانت توجه إلى المعبد، وقد اختلفت أغراضها: كقرابين التكفير عن الذنوب، واكتساب رضا الآلهة، وقرابين تدشين المعابد والتماثيل الجديدة، إلى جانب القرابين اليومية والتي كانت في الغالب من الحيوانات كالحمل والجدي، والسوائل مثل اللبن والعسل والزيت [4]،حيث أن السومريون كانوا يتمتعون بالكثير من أصناف الطعام، ويلوح أن الآلهة كانوا في بادئ الأمر يفضلون لحم الآدميين،ثم فيما بعد اكتفوا فقط بلحم الحيوان، وهذا بعدما ارتقت أخلاق الناس[5]، ومنه فقد كان القربان من الأضاحي أو غيرها يوضع

---

(1) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق،ص ص 315 -318.

(2) – حلمي محروس إسماعيل , المرجع السابق ، ص110.

(3) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع الساق،ص 318.

(4) – محمد خليفة حسن احمد, **رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته**، دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع، مصر، 1998. ص 202، 203.

(5) – ويل ديورانت , المرجع السابق ، ص29.

على مذبح أمام تماثيل الآلهة، ويبدأ الحفل الديني بالصلوات تصحبها بعض الطقوس العملية والرش بالماء المقدس، وكانت أجزاء معينة من القرابين، مخصصة للآلهة تحرق (أو تسكب) تكريما له أو لها، وكانت أجزاء أخرى تؤول إلى الكهنة، ويرد الباقي إلى صاحب القربان[1].

II- طقوس المناسبات:

(1) - سبتينو موسكاني , المرجع السابق ، ص 81.

كانت الطقوس السابقة تجري بشكل شبه يومي عند المتعبدين أو الكهنة، أما طقوس المناسبات كانت تجري وفق أحداث محددة تمر بالإنسان، وأشهر هذه المناسبات هي (الولادة، البناء، الزواج، الموت).

1- **طقس الولادة:** كان حمل المرأة حدثا مهما، وكان يحظر عليها إسقاط الجنين لأي سبب كان، وهناك عدد من التعاويذ والصلوات التي تقدم للمرأة الحامل (اريتو Eritu) وكانت هذه المرأة تقدم خلال حملها بعض الأشياء للعفريتة الشريرة(لاماشتو) [1] خلال أشهر حملها حتى تضمن ولادة سهلة وطفلا كاملا، وكانت الولادة تجري عادية أو تقوم بها القابلة (شازو Sha-zu) والتي غالبا ما كانت تأتي إلى بيت الحامل حين تحين ساعات الولادة، وهي تردد الصلوات والتعاويذ لتسهل الولادة، ويبدو أن الولادة كانت تجري على مصطبة من اللبن تحضرها القابلة التي أخذت هنا دور الكاهنة أو دور الإلهة ننتو إلهة الولادة، وبعد الولادة يطلق على الطفل اسم لأنه كان بمثابة الخلق أو الولادة أيضا[2].

2- طقس الزواج: كانت هناك طقوس خاصة بالزواج، فقد كانت تستمد عمقها الديني من ظهيرها اللاهوتي والمثولوجي الخاص بطقوس الزواج المقدس، والذي كان بمثابة الاحتفاء بالقوى المخصبة والإنسان والحيوان[3]، فقد كانت لعلاقة إلهة الخصب والجنس "عشتار"، مع زوجها الإله دموزي "تموز"، نموذجيا عليا لهذا الزواج المقدس[4]، وبعد ذلك تحول هذا الطقس من زواج الآلهة إلى زواج الآلهة والملوك (عشتار والملوك)، ثم تحول نهائيا إلى طقس بين الملك كممثل لدموزي والكاهنة العليا كممثلة لاعشتار.

أما عن مراسيم الزواج، كانت هناك طقوس اغتسال المرأة وسكب الزيت على رأسها، وكان الزوج يقدم بعض النذور والحاجيات الثمينة إلى المعبد، وفي يوم الزفاف تقام وليمة تقدم فيها

---

(1) – لاماشتو: هو وحش غريب الشكل ذا رأس أسد وجسد امرأة ، وكان يهاجم النساء الحوامل ساعات الولادة و الأمهات المرضعات. انظر: خزعل الماجدي, (**بخور الآلهة**)، المرجع السابق، ص 222.

(2) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق،ص 322.

(3) – نفسه ، ص 324.

(4) – فوزي رشيد وآخرون, المرجع السابق ، ص210.

المأكولات التي جلبها العريس إلى بيت العروس، وكان يقوم بسكب الخمر على الأرض أو على جسد الضحايا تكريما للآلهة ويسمى هذا الطقس بالسكب أو كرم Kirrum [1].

وكانت هناك أهداف أساسية أخرى لهذا الزواج المقدس، وهو تقرير المصير للملك والبلاد على يد الإلهة–الزوجة، إذ كان الاعتقاد السائد لدى سكان بلاد الرافدين، أن الآلهة وعلى رأسهم "انو وانليل" هم الذين يقررون شؤون الملكية والبلاد وأقدار الناس مرة كل سنة، وأن ما تقرره الآلهة سوف يتحقق وغير قابل للتبديل، لذلك يكون أمرا ضروريا أن تقوم الكاهنة بالدعاء لتحقيق ما يصبو إليه الملك والشعب خلال السنة المقبلة[2]، وكانت هذه الطقوس الفرعية للزواج تجرى تحت رعاية الكهنة، وكان للمعبد دور هام فيها.

3- **طقس البناء:** فقد كان بناء البيوت والمعابد والقصور يجري أيضا وفق طقوس معينة، وكانت هذه الطقوس في المراحل السومرية تجري على أساس وضع أشياء في أسس المعابد والمباني ضد العناصر الشريرة كالتعاويذ والتماثيل ورموز الآلهة والمسمار الحجري المعروف الذي كان يوضع في هذه الأساسات منقوشا بالتعاويذ والرموز.

وكانت تدفن عند عتبات البيوت الحروز وتماثيل الآلهة والعفاريت والحيوانات لحماية أصحابها من الشر، ومن الجائز وضع مثل هذه التعاويذ والأشكال عند واجهات البيوت أو على الأبواب مثل رمز إلهة العين أو رمز الإلهة سبيتو (العيون السبعة) لدرء الشر، وقد تطورت طقوس البناء في مرحلة لاحقة وأخذت ترافقها الأضاحي[3].

ويأخذ بناء المعبد بعدا روحيا، حيث أن تداعي أي معبد مخصص لإله، كان ينتج عنه في اعتقادهم هجر الإله لمعبده، وبالتالي هجره للمدينة التي هو حاميها، وتداعي وانهيار المعبد، كان يستوجب الندب والنواح من قبل المكلف بمراقبة طقس الترميم أو إعادة البناء وتلاوة الصلاة الملائمة لمثل هذه المناسبة، والنداب هو "الكالو"، الذي يتدخل أيضا لدى استخراج آجرة الأساس القديمة للمعبد المنهار ووضعها في مكان سري وذلك قبل تخصيص آجرة أساس المعبد الجديد، وعند ذلك كان على "الكالو" تلاوة الصلاة التالية، وهذه الصلاة تبدأ بالتذكير بزمن البدء وبتكوين النصفين

(1) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق،ص 325.

(2) – فوزي رشيد وآخرون, المرجع السابق ،ص214.

(3) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق،ص ص323 - 325.

المتناظرين: السماء (الفوق) وما يقابلها مما هو (تحت) إضافة إلى "الابسو"، لأن المتدخلين في عملية التكوين هما اله السماء"انو" والإله "إيا" إله الخلق ومهارة الصنع ومقره الابسو، فمن صلصال الابسو وقدرة "ايا" على الخلق، نشهد عملية خلق مجموعة من الآلهة الثانويين الذين سيعهد إليهم، في تكوين يدور حول مركزية المعبد الأول، أي مقر "إيا" في الابسو، وفيما بعد في المعابد الأخرى، يعهد إليهم، بأعمال ومهام مرتبطة بتحديد بناء المعابد وبتنفيذ أعمال البناء وأعمال الإنهاء والإشراف على إعداد التقدمات وإقامة الطقوس والإحتفالات في المعابد[1]، وكان يعتبر تهديم المعبد إشارة شؤم أو خطر قادم[2].

4- **طقس الموت:** احتلت الطقوس الجنائزية دورا مهما، ويتبين هذا من خلال الملاحم الخاصة بخلق الإنسان، بان الآلهة قد قررت منذ البداية الموت على الإنسان، فالروح المتعلقة بالإنسان هي التي تتحمل حسناته أو سيئاته، ومقر سكنى الروح هو العالم السفلي، أما الأشخاص الذي يموتون موتا غير طبيعي أو أن جثثهم تترك بلا دفن، فان أرواحهم تتعذب تترك وتتحول إلى قوة شيطانية وتخرج من العالم السفلي، وهذا العالم يمثل الطبقة الأخيرة من الأرض، وفوق سقفه كانت تمتد المياه الجوفية العميقة، وهذا العالم كان محاطا بسبعة أسوار وبنهر يحيط بالسور الأول منه ويسمى "خوبور"، وكان لا يسمح للموتى بعبور هذا النهر إلا بعد انجاز الشعائر الجنائزية، وان الوصول إلى العالم السفلي كان يتم من خلال عدة منافذ، الأول من خلال حفرة القبر والثاني من خلال أية حفرة أخرى في الأرض[3].

ومن أجل ذلك قام السومريون ومن ورثهم في إقامة الشعائر الجنائزية، والتي عبرت عن الرفعة الحضارية التي وصلوا إليها[4]، وكانت هذه الشعائر تقام من اجل إرضاء آلهة السماء والهة العالم الأسفل معا حتى يعتني بالميت ولتجنب غضبها، وتقسم هذه الشعائر إلى ثلاثة أقسام:

أ/ طقس الكسبا: وهي الطقوس التي تقدم فيها مختلف الأطعمة إلى أرواح الموتى حيث تذبح فيه الخراف ويقدم الزيت والعطور والبخور والنبيذ الأبيض والفاكهة، وكانت التقاليد تقضي بفرش مائدة

(1) – قاسم الشواف , (**ديوان الأساطير –سومر وأكاد وآشور–**) ، ج2، المرجع السابق، ص 62، 63.

(2) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق،ص 324.

(3) – فوزي رشيد وآخرون, المرجع السابق ، ص ص177-179.

(4) – بلخير بقة, المرجع السابق، ص 58.

الأطعمة والأشربة هذه وتوضع عليها وترتب مقاعد حول المائدة ويترك مقعد واحد فارغ لروح الميت الذي أقيمت الوليمة لأجله، وكان هذا المقعد يسمى بالسومرية كرسي الروح، وكانت القرابين الجنائزية تقدم أمام تماثيل الملوك بصفة خاصة.

ب/ طقس المي نقو: وهي طقوس سكب الماء لإرواء ظمأ الميت، وكان الماء يسكب عبر أنبوب فخاري ينزل من سطح الأرض إلى العالم الأسفل.

ج/ طقس الشوماز كارو: والمقصود به تطمين الميت بأن ذكراه مازالت قائمة بين الأحياء، وأن نوعا من البقاء من خلال الإسم يتحقق له.

أما عن طرق إقامة الطقوس الجنائزية، فكانت تقام بطريقتين: الأولى إما من قبل عائلة الميت وتشترك فيها بشكل خاص النساء القريبات من الميت، وكان يطلق على من يقيم هذه الشعائر بالسومرية سواء أكان من أقارب الميت أم من غير أقاربه (لوساك اينتار)، أما الطريقة الثانية فكانت تتم بتكليف بعض الأشخاص والكهنة الموكول لهم أداء تلك الشعائر فيقومون بتلاوة التعاويذ التي تعمل على تحسين حالة روحه في العالم الأسفل ومنهم كاهن الـ"ماخ" وكهنة الـ"كالو"[1].

(1) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق،ص 330، 331.

III- الطقوس الدورية:

شغلت الأعياد والإحتفالات حيزا مهما في الحياة اليومية للإنسان في وادي الرافدين، والأعياد كما هو معروف تقام في أيام محددة من السنة ويشارك فيها عامة الناس، بينما تقام الإحتفالات بمناسبة معينة كأن تكون الانتهاء من بناء معبد لإله المدينة أو عودة الجيش منتصرا من جبهة القتال أو أية مناسبة أخرى مهمة تستوجب التقدير والاعتزاز[1]، وقد تكون الطقوس الدورية لإستحضار زمن الخلق الأول، وسواء أكانت الأعياد أسبوعية أو شهرية أو فصلية أو سنوية، فإنها كانت جزءا من الدورات التي اعتاد السكان على إحياءها[2].

ولعل أهم الأعياد التي كان يحتفل بها الإنسان السومري، عيد زاموء (za-mu-a) وهو من الأعياد المؤقتة الذي يمثل عيد رأس السنة، وكان السومريون يحتفلون مرتين بهذا العيد، الأول في الإعتدال الربيعي (عيد زاموء الأول) وهو عيد الحصاد والخضرة، وكانت تقام فيه أعراس الإله دموزي وانانا وطقوس الزواج المقدس ويصادف تحديدا في 21 مارس من كل سنة وهي بداية السنة السومرية، أما العيد الثاني فكان (عيد زاموء الثاني) الذي كان يجري في الإعتدال الخريفي، وهو عيد البذار والصفرة، وكانت تقام فيه طقوس الحزن الجماعي على موت دموزي وذهابه إلى العالم الأسفل وكان يصادف في 21 سبتمبر من كل سنة وهو منتصف السنة السومرية، وكان طول الليل والنهار يتساويان تماما في هذين اليومين من السنة فقط.

وفي أواخر العصر السومري الحديث(عصر سلالة اور الثالثة) وبعد هذا الوقت أصبح السومريون يطلقون على (عيد الزاموء الأول)اسم (اكيتو) ومع اختفاء السومريين السياسي اضمحل تدريجيا عيد الزاموء الثاني، وأصبح هناك عيد دوري واحد هو عيد الأكيتو يحتفل به السومريون في 21 مارس من كل سنة وهو بداية التقويم السنوي[3].

ومنه فقد كان السومريون يحتفلون بعيد الأكيتو، والذي ازدادت شهرته أكثر في بابل حيث كانوا يحتفلون برأس السنة البابلية، لكن تجدر الإشارة بأن هذا العيد كان معروفا عند السومريين في الألف الثالث قبل الميلاد تحت نفس التسمية تقريبا (Akiti)، وكان يقام في المدن السومرية في أور في العصر

(1) – فوزي رشيد وآخرون, المرجع السابق ،ص207.

(2) – بلخير بقة, المرجع السابق، ص 59.

(3) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق،ص 336، 337.

السابق للسلالة الأكدية، وفي الألف الأول صار عيد الأكيتو واسع الانتشار ليشمل معابد معظم المدن في بلاد الرافدين[1]، فكانت احتفالات الأكيتو تحدث مرتين في السنة، الأول في الشهر السادس، والثاني في شهر حصاد الشعير الذي يصادف الشهر الثاني عشر (مارس-افريل)، وللعيد الذي يحتفل به في الشهر السادس اسم خاص هو (آكي شونو من a- ki-su- mumun) أي فترة بذر البذور، وكانت تقاليد الاستسقاء القديمة التي ظهرت في سامراء مازالت حاضرة.

ويبدو أن عيد الأكيتو السومري كان مرتبطا بالآلهة عشتار ودموزي، وكانت تقدم الضحايا الكثيرة لـ"عشتار" في اليوم الحادي عشر من العيد الذي يبدأ في اليوم الأول من شهر اكتيو، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن عيد الأيام الإثنى عشر الذي هو الأكيتو في بابل كان قادما من عيد الأكيتو السومري.

إضافة إلى هذا كان يقام عيد آخر في سومر اصطلح عليه بـ" عيد ايزنماخ Ezen-mah" وهو العيد الكبير الذي كان في اغلب الأحيان يختلط مع العيد الربيعي [2] .

IV- الطقوس السرية:

(1) – فوزي رشيد وآخرون, المرجع السابق ،ص215 ،216 .

(2) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق،ص 338 ، 339.

إن طقوس الأسرار تعتمد في أساسها على مبدأ سحري جوهري، يقتضي وجود قوة في الكون أو في الآلهة أو في الشياطين أو في الإنسان، وأن هذه القوة يمكن أن تتناغم مع قوى أخرى عند الذي يقوم بهذه الطقوس، وهي قوة الساحر أو العراف أو المنجم أو مفسر الأحلام الذين يستطيعون تحريك تلك القوى وتفسيرها بالشكل الذي يريدون.

ولقد كانت طقوس الأسرار السومرية موئلا هاما للديانة السومرية بالإتجاهين الإيجابي والسلبي، فقد كرست هذه الطقوس مجموعة من التقاليد التي سادت في الديانات اللاحقة وعززت مكانة الدين، ولكنها في الوقت نفسه أنتجت ضررا فادحا حيث سادت الشعوذة والحيل واصطناع الخوارق مما اثر سلبا على طبيعة العقائد الدينية بسبب عدم إمكانية الفصل الحاد بين السحر والدين حتى في العصور السومرية وما تلاها خصوصا السحر الأبيض أو الحلال الذي كان مسموحا به دينيا، وعليه يمكن أن نقسم طقوس وممارسات الأسرار إلى أربعة أركان أساسية وهي(السحر، العرافة، التنجيم، تفسير الأحلام)[1].

1- **السحر**: يعتبر من المعتقدات القديمة التي عرفها سكان بلاد وادي الرافدين، ويقوم بدوره على مبدأين يرجعان أصلا إلى المنطق البدائي، أولهما الاعتقاد بإمكانية إحداث الشيء بتقليد عملية حدوثه، وهو ما يعرف بمبدأ التشابه، وينعكس المبدأ على في العديد من الآثار التي تركها إنسان العصور الحجرية، ومنها الرسوم التي نفذها على جدران الكهوف، فرسم صورة الحيوانات التي كان الإنسان يرغب في اصطيادها لتوفير غذائه[2]، أما المبدأ الثاني يقوم بإحداث خير أو شر ببعض أجزاء جسم الإنسان مثل شعره أو أجزاء ملابسه، وهو ما يعرف بمبدأ المصاحبة[3].

وعلى أية حال فان هناك نوعين من السحر، الأول ضار والغرض منه إلحاق الأذى بالعدو فردا كان أو جماعة، وقد حرمت القوانين البابلية ممارسة هذا النوع من السحر وفرضت عقوبة الموت على من يقوم به، والنوع الثاني من السحر حلال لأنه يهدف أساسا إلى منفعة الناس من خلال شفائهم من الأمراض وتخليصهم من الأرواح والأشباح الخبيثة التي كان يعتقد أنها تلاحقهم وتحل في أجسامهم، كما اعتقدوا أن الأرواح والأشباح الخبيثة هي عبارة عن أرواح الموتى خاصة أولئك الذين

(1) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق،ص 340، 341.

(2) – فوزي رشيد وآخرون، المرجع السابق ،ص201.

(3) – عبد الحميد زايد , المرجع السابق, ص 152.

يتركون دون دفن، بالإضافة إلى وجود أصناف من الشياطين الخالصة التي كانت تسبب أنواعا مختلفة من الأمراض الجسدية والعقلية للناس.

وفي سبيل حماية الشخص من خطر الشياطين والأرواح الشريرة أو شفائه من المرض الذي سببته له ابتدع السحرة القدماء الحرز الذي كان يحتوي على تعويذة مكتوبة فيها دعوة للآلهة العظيمة لحماية صاحب الحرز، كما يحتوي أحيانا على صورة للشيطان المقصود الذي يراد تخليص المريض منه[1].

لهذا فقد استعان الإنسان بالكهنة كأشخاص ملكوا القدرة على نيل معرفة الإله في شفاء الناس من الأخطار والأمراض التي يمكن أن تلحقها بهم الشياطين، إذ نجد أنواع من الكهنة في المعابد اختصوا بشفاء المرضى عن طريق الاستعانة بالسحر الذي كان استخدامه في بادئ الأمر في متناول يد العامة وليس حكرا على الكهنة أو المعبد[2]، فهؤلاء الكهنة كانوا الأقرب إلى أداء العمليات والطقوس السحرية بصورة عامة، وأقربهم إلى الطب السحري المعروف بـ" الاشيبو"، وكان هذا الساحر ينطق بالكلمات الخاصة بالشعائر اللازمة لطرد العفاريت ويكون الساحر في هذه الحالة يلبس الرداء الأحمر لأنه اللون الواقي من الأرواح الشريرة، ويقوم الاشيبو أثناء أدائه الطقوس السحرية بأعمال غريبة ويصدر أصواتا غريبة أيضا، وكذلك يرسم أثناء هذه المراسيم دوائر حول نفسه بالعصا السحرية ناطقا بالكلمات التالية:" بيدي احمل دائرة سحر ايا، بيدي احمل عصا الصنوبر، سلاح ايا المقدس"[3]، ومن ثم يبدأ بممارسة طقوسه، والتي هي عبارة عن مجموعة من التعاويذ[4].

2- **التعزيم والعرافة:** كان العزامون هم المختصون بطرد الأرواح الشريرة، يقومون بفحص المريض لمعرفة الروح الشريرة التي أصابته واختيار التعويذة المناسبة التي كانت تقرأ مع تأدية طقوس معينة، وكانت عملية التعزيم تجري في المعبد أو في بيت المريض، وإلى جانب هذا كانوا يقومون بإشعال النار ، فقد كان واحد من الطقوس الفعالة لطرد الأرواح الشريرة من جسم المريض، فبعد إشعال النار يقوم

(1) – فوزي رشيد وآخرون ، المرجع السابق ،ص202 ،203.

(2) – شيماء ماجد كاظم, المرجع السابق ،ص24.

(3) – خزعل الماجدي , (**بخور الآلهة**)، المرجع السابق،ص 187، 188.

(4) – شيماء ماجد كاظم, المرجع السابق ،ص30.

العزام بدعوة واستشارة آلهة النار الثلاثة (كيرا، كبل، نوسكو) للانقضاض على تلك الأرواح وطردها[1].

وهناك طقس آخر لطرد الأرواح الشريرة والذي كان العزامون يلجأون إليه لشفاء المرضى، فيتمثل بصنع دمية من الشمع تشبه المريض ثم يدفنها المعزم في المقبرة مع دمية أخرى تمثل الروح الشريرة التي سببت له المرض، إذ أن الغرض من ذلك هو تحقيق هدفين الأول دفن رمزي للروح الشريرة لإعادتها إلى مقر الأموات في العالم الأسفل، والثاني إيهامها بأن المريض قد مات وانتهى أمره[2]، وفي أحيان أخرى يلجأ السحرة إلى إتباع طريقة " البديل" أي توفير شيء آخر يحل فيه الشيطان أو الروح الشريرة بدلا من جسم المريض، وهذا البديل في الغالب يكون حيوانا كالجدي مثلا، فوسط قراءة التعاويذ وأداء الطقوس السحرية يقدم العزام الجدي فدية وبديلا للرجل المريض، وعندئذ يخرج الشيطان من جسمه ليحل في الجدي وبذلك يشفى من المرض[3].

ومنه فقد كان الساحر أو المعزم يقوم بأعمال أخرى بحكم صلته بالآلهة، كان يقدم المساعدة لها عندما تقع في الحرج أو الضعف، فعلى سبيل المثال كان الاشيبو يقوم بقراءة التعاويذ وأداء الصلوات، وعليه فقد كانت شخصية الساحر الديني أقوى في فاعليتها من شخصية الكهنة الآخرين، لأنها كانت تستلهم من السحر القوة والقدرة على التأثير الحاد والمباشر في الأحداث، بينما كان الكهنة الآخرون يقومون بأعمال تنظيمية وإدارية ودينية عامة[4].

اضافة إلى هذا فقد استعان العراقيون القدامى بطقس العرافة، والتي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمعتقدات والعادات والتقاليد الإجتماعية، فقد استخدم السومريون تعابير عديدة للدلالة على العراف نذكر منها (i–zu) بمعنى (الذي يعرف) أي العراف، ويظهر من النصوص المسمارية أن العراف " بارو" كان يقوم بالعرافة على الصعيد الرسمي أي للملك والدولة، وعلى الصعيد الشعبي لعامة الناس، وكانت مهنة العرافة وثيقة الصلة بالمعبد لأن العراف كان كاهنا شأنه في ذلك شأن العزام ومفسر الأحلام وغيرهما من كهنة المعبد، ومن جهة أخرى ترد إشارات كثيرة في النصوص المسمارية

(1) – فوزي رشيد وآخرون المرجع السابق ،ص204.

(2) – شيماء ماجد كاظم, المرجع السابق ،ص28.

(3) – فوزي رشيد وآخرون، المرجع السابق ،ص205.

(4) – خزعل الماجدي , (**بخور الآلهة**)، المرجع السابق،ص 188.

تدل على ارتباط العراف بالقصر وهو أمر ناتج عن أن الملك كان يستشيره قبل اتخاذ القرارات المهمة لمعرفة مشيئة الآلهة بخصوصها[1]، وكان يقوم بالعرافة خبراء لديهم مجموعات من المخطوطات مدون فيها قواعد قديمة، وتتابع من خلالها الأحداث الشديدة التنوع ويتم تسجيلها بدقة[2].

ومنه فقد قسم الباحثون العرافة إلى قسمين بموجب الطريقة التي تنجز بواسطتها، فهناك العرافة العملية التي يستعمل فيها العراف وسائل وطرق عملية من أجل الإتصال بالقوى العليا، ويشمل هذا النوع من المعرفة:

أ/ سكب الزيت في الماء: يقوم العراف بسكب شيء من الزيت في إناء به الماء، ثم يراقب حركة الزيت وهو يطفو فوق الماء، فإذا ما تكونت حلقة كاملة واتجهت نحو الشرق، كان ذلك في اعتقاده فألا حسنا، أما إذا انكسرت الحلقة أو انتشر الزيت فوق الماء دون أن يكون حلقات فكان ذلك نذير شؤوم لصاحب العرافة.

ب/ تصاعد الدخان: وهي طريقة في العرافة تعتمد على حرق البخور أو أنواع معينة من الأعشاب ومراقبة تصاعد الدخان من المبخرة وانتشاره.

أما النوع الثاني من العرافة فيسمى بالعرافة السحرية لأنها تعتمد على قوى وظواهر خفية لا دخل للإنسان فيها مثل حدوث تغييرات في الظواهر الكونية والطبيعية كالخسوف والكسوف وحركة الرياح، كما أنها تعتمد على مراقبة التغييرات التي تحدث في سلوك الطير أو الحيوانات وفي أحشائها الداخلية (وخاصة الكبد) [3].

3- **التنجيم**: فقد كان العراقيون يعتمدون على التنجيم في ملاحظة الكواكب ومراقبة الأحداث الفلكية مراقبة دقيقة، وهي تنبئ عن الأحداث التي سوف تحدث على الأرض[4].

ولعل أول المظاهر التنجيمية والفلكية في الدين السومري، هو تقسيم السماء إلى مسالك إلهية أو طرق معينة بأسماء عظام الآلهة السومريين[5]، فقد أطلق على خط الاعتدال السماوي طريق "آن"،

---

(1) – فوزي رشيد وآخرون ، المرجع السابق ،ص197، 198.

(2) – عبد الحميد زايد , المرجع السابق, ص 150.

(3) – فوزي رشيد وآخرون ، المرجع السابق ،ص198، 199.

(4) – عبد الحميد زايد , المرجع السابق, ص 151.

(5) – دمانة احمد, **الحياة الأدبية والعلمية ببابل ونينوى من1792ق.م** إلى **539ق.م**، أطروحة ماجيستر،الإشراف: بلقاسم

ويقع شماله خط الشمال وهو طريق "انليل"، أما خط الجنوب سمي بطريق "انكي"، كما منحت الآلهة الكبيرة أرقاما رمزية ذات طابع فلكي، ولعل أهم انجاز قدمه السومريون للفلك والتنجيم هو إدخالهم النظام الستيني السومري على النظام الرياضي الفلكي، وهذا النظام يصلح للأشكال الدائرية والمقوسة، وهو ما كان يحتاجه التنجيم ليتحول إلى علم فلك يقوم على الرصد والقياس وتنظيم الجداول[1].

4- **تفسير الأحلام:** اعتقد العراقي القديم أن ما يراه في حلمه هو حدث سيقع، ولذلك اجتهد لمعرفة تفسيره[2]، فقد كانت الإلهة "نانشة" مسؤولة عنه بالدرجة الأساس، وتخصصت به الإلهة "مامو" ابنة اله الشمس "اوتو"، وكلمة "مامو" بالسومرية تعني الحلم.

وكان الكاهن المسؤول عن تفسير الأحلام هو السائل " شائيلو"، والكاهنة المسؤولة عنه هي السائلة "شائيلتو".

كان تفسير الأحلام يحظى بأهمية خاصة عند الملوك والأمراء، أما الكهنة الذين يعملون فيه فهم من ذوي الإمتيازات الروحية الخاصة، وارتبطت الأحلام بالليل وكانت كلمة مامو، تعني الليل والحلم في الوقت نفسه، وهناك نوعان من تفسير الأحلام الأول بواسطة الإلهام (إلهامي) والثاني بواسطة الإستنتاج (إستنتاجي).

كان تفسير الأحلام الإلهامي هو الأقدم وقد ارتبط بالآلهة حيث كان يعتقد أن الآلهة تختار الحلم صيغة لنقل ما تريد إلى الإنسان، أي ان تفسير الحلم كان سرا إلهيا يعلمه إله الحكمة لمن يشاء ، وقد كان مثل هذا الإعتقاد بالإيحاءات الإلهية في الحلم قديم جدا في بلاد الرافدين القديمة، وأقدم مثل عنها جاء في "مسلة النسور" الشهيرة العائدة إلى ملك لكش (اياناتوم) الأول في نحو سنة 2450 ق.م، في صراعه ضد اوما وهو يروي كيف أن الإله ننكرسو ظهر له في نومه لكي يطمئنه بهذه العبارات عن النتيجة السعيدة للحرب: حتى كيش لن تساند ، فالإله أوتو سينحاز إليك[3].

رحماني، قسم التاريخ ،جامعة الجزائر ،غير منشورة، الجزائر،2008 . ص 135 .

(1) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق،ص 350.

(2) – سامي سعيد الأحمد، **المعتقدات الدينية في العراق القديم**، المركز الاكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013 . ص 84.

(3) – خزعل الماجدي , (**متون سومر**)، المرجع السابق،ص 354.

أما النوع الثاني فهو تفسير الأحلام الإستنتاجي، فهو الذي يعتمد على القدرة التأويلية لكاهن (الشائيلو) أو لكاهنة (الشائيلتو) على فك الرموز والصور الحلمية ووضعها في سياق الواقع، ولا شك أن هناك ما يشبه الثوابت التي درج الكهنة على وضعها نصب أعينهم .

تصنف الأحلام التي ظهرت في النصوص العراقية القديم ومنها السومرية على الشكل التالي:

* أحلام تظهر بها الآلهة ارادتها والتي قد تحتاج إلى تفسير أو لا تحتاج.
* أحلام تعكس وضع الحالم العقلي وسلامته الروحية والجسدية.
* أحلام تنبؤية.

وقد أخضع المفسرون هذه الأحلام لطرقهم الإلهامية والإستنتاجية ، اضافة الى علم السميولوجيا الذي يعتني بدرس وفحص هذه الإشارات والرموز أن يقوم بدور واضح في فحص هذا التراث واستنتاج العلاقات الخاصة بين المدلولات والدلالات في شريحة نفسية وروحية مثل نصوص الأحلام ونصوص تفسير الأحلام السومرية منها بشكل خاصة والعراقية القديمة بشكل عام لأنها تمثل أقدم المدونات السميولوجية ذات البعد الروحي والنفسي والديني في الوقت نفسه[1].

(1) – نفسه ،ص 358 ، 259.

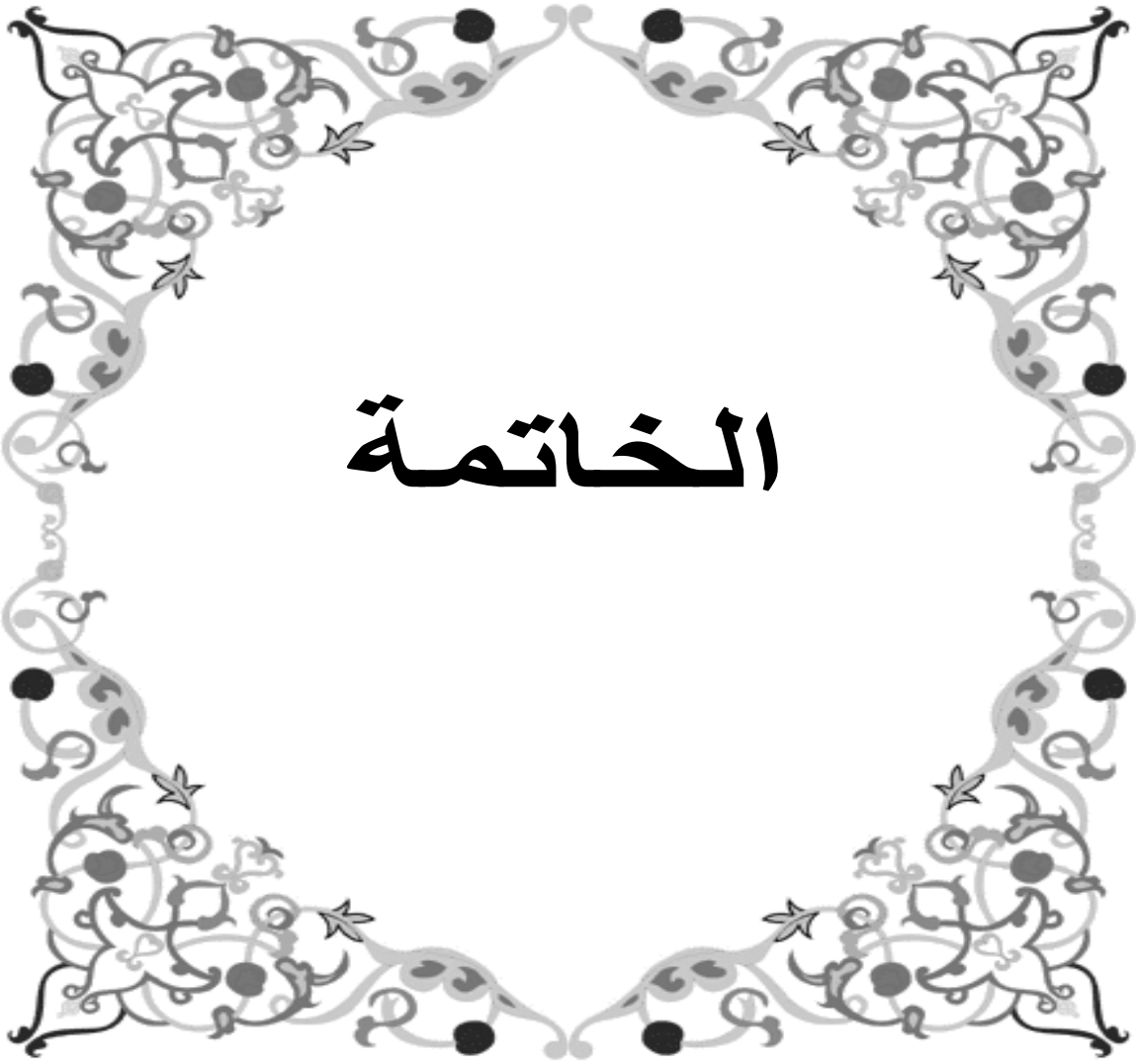

الخاتمة

وفي الختام يمكن القول أن السومريون ابتدعوا في غضون الألف الثالث قبل الميلاد أفكارا دينية ومفاهيم روحية ، فهذه الأخيرة شغلت بدورها مجالا واسعا في حياة شعوبها القديمة، فقد ترك فكرها الديني السومري بصماته، وآثاره فيها، وفي تاريخها الحضاري أيضا، ويمكن أن نوضح هذا القول من خلال استخلاص النتائج التالية:

* أن النشوء الأول للكون من خلال الأساطير السومرية، أصله كان من المياه، فهذه المياه هي التي عبر عنها السومريين باسم "نمو"، فمن هذه الكتلة المائية انبثقت الآلهة، فهذه المرحلة يمكن عدها بداية التنظيم .

* إن ابرز الأساطير السومرية تلك التي تتكلم عن خلق الكون والإنسان، فأفكار الخلق والتكوين عند السومريين لم تكن بدائية، بل ناضجة بالدرجة التي تتيحها معارف تلك الفترة من بداية حضارة الإنسان.

* أن رحلة الدين في الحضارة السومرية، تبدأ مع إنسان العصر الحجري الحديث، بممارسته للأفكار الدينية بطريقة بدائية، ظنا منه أن لها تأثيرا في حياته اليومية، وكانت نقطة انطلاق هذه الأفكار والطقوس هي ما تعرف بعبادة مظاهر الطبيعة (الكواكب، النجوم، الشمس، القمر، الليل، الأنهار، الإمطار).

* اتسمت مظاهر العبادة في الحضارة السومرية بعدة خصائص، أبرزها تعدد الآلهة، فقد تصوروها في مجلس مقره السماء، وان هذه الآلهة تقاسمت المناصب بينها، وجعلوا للآلهة الكبيرة مجلسا خاصا لاتخاذ القرارات العليا، التي تخص شؤون الآلهة، والإنسان، ورئيس الآلهة وهو الإله "انو-ANO" ،إضافة إلى مبدأ التشبيه بتشبيه تلك الآلهة بالبشر بمنحها الألقاب والشارات.

* اعتقد السومريون أن الآلهة ينظمون أنفسهم على شكل جمعية عمومية يسودها الحق , كما يتجه بعضها إلى الظلم، وكان عدد الآلهة كثيراً، فلكل مدينة اله خاص بها و للمعبود الواحد عدة أشكال و يمكن التمييز بينها عن طريق المدينة التي تعبد فيها , و تقام الاحتفالات الدينية و يتم تقديم القرابين لها.

* كان تفكير السومريين في الحياة و ما بعد الموت غامضا , إذ أن السومري اعتقد أن الموت هو نهاية كل إنسان و هو أمر محتم على البشر , أما الخلود فلم يكن إلا من نصيب الآلهة و ذلك راجع لعدم استقرار البيئة .

*بروز المؤسسات الدينية والتي كان لها اثر كبير على حياة السومريين، حيث أخذت العبادة مرحلة جديدة ومتطورة من حيث مكان الآلهة المتمثل في" الزيقورات" وهو ما يشبه أهرامات مصر الفرعونية , إذ اخذ هذا الصرح الجديد لمكان الآلهة حالات التعبد والتقديس الذي يقدمها الإنسان السومري تجاه المعبود والذي يعتقد انه قد يوفر الأمان وكثرة المزروعات والحيوانات , وهذا التطور في العبادة لم يكن مشهوداً خلال العصور السابقة .

* شكل المعبد طوال مسيرة الحضارة السومرية، احد العوامل الأساسية التي يقوم عليها، فبالإضافة إلى كونه مركزا دينيا تقام فيه الطقوس والشعائر من احتفالات ومناسبات دينية، بما في ذلك إقامة الصلوات وتقديم النذور والقرابين، كذلك كان مركزا اجتماعيا فعالا مارس دورا جوهريا في الحياة العامة، وبلغت هذه الممارسات قمتها في هذه الفترة.

*كان للمعبد وظيفة اقتصادية ، فكانت المعابد تتلقى موارد كبيرة وتحتفظ بثروات ضخمة، وكان يشكل وحدة اقتصادية كاملة ويمتلك الأراضي والمزارع والحقول والمستودعات.

*كما كان للكهنة دور في الحياة الدينية في سومر، فقد كانوا يعملون على تنظيم شؤون المعابد المختلفة ، فنشأت بذلك طبقات من الكهنة وكل طبقة لها وظيفتها داخل المعبد، سواء كانوا رجالا أو نساء.

* كانت ممارسة معظم الطقوس والشعائر الدينية السومرية، التي كانت تشكل الجانب العملي من العقائد والمعبودات بشتى أشكالها، في المعابد فقد كانت تشهد احتفالات كثيرة، منها احتفالات شهرية كانت تقدم فيها قرابين خاصة، ومنها احتفالات سنوية كانت تقام في مواعيد مختلفة وتقدم فيها أيضا القرابين.

الملاحق

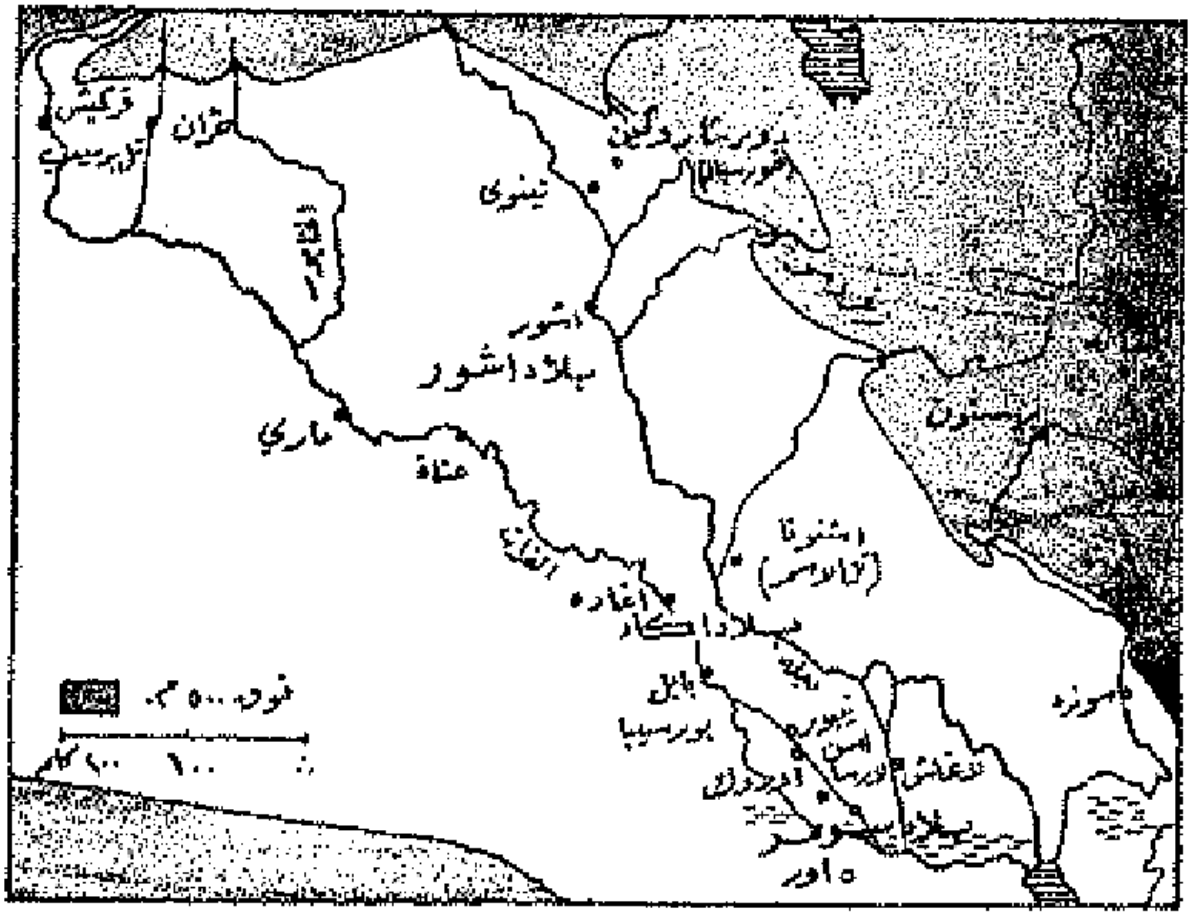

خريطة بلاد الرافدين

المصدر: اندريه ايمار و جانين اوبوايه ، المرجع السابق، ص 134.

الملحق رقم (1)

الشكل رقم (1): ختم اسطواني من عصر الوركاء.

المصدر: حسن محمد محي الدين السعدي، المرجع السابق، ص 41.

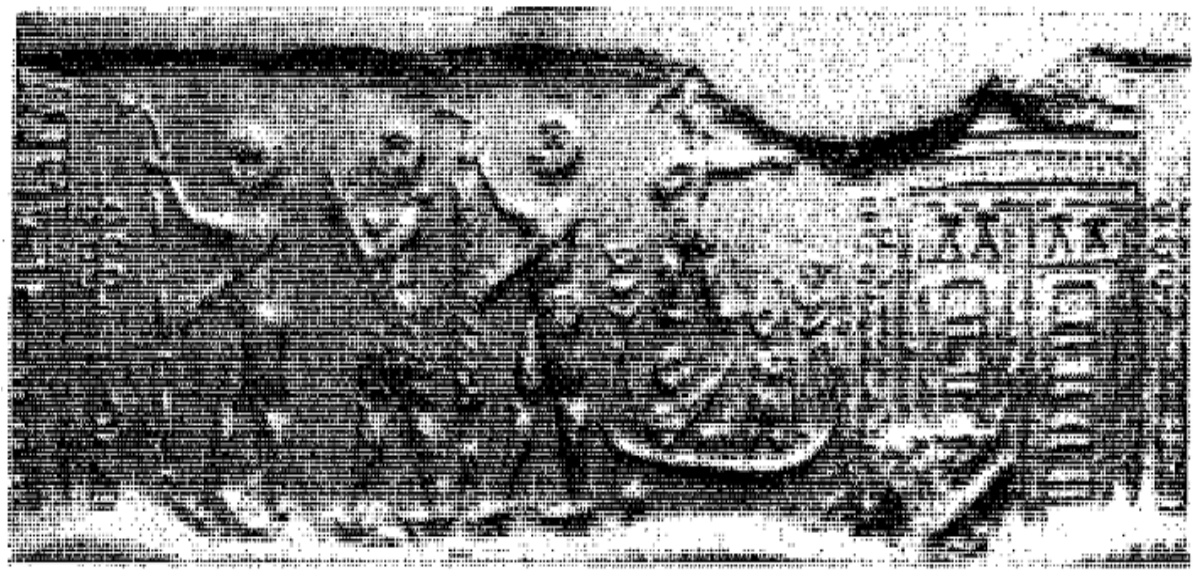

الشكل رقم (2): ختم اسطواني من عصر الوركاء، والرسم الذي بداخله يمثل حفلا دينياً أمام واجهة المعبد.

المصدر: إبراهيم رزقانة وآخرون، المرجع السابق، ص 267.

الملحق رقم (2)

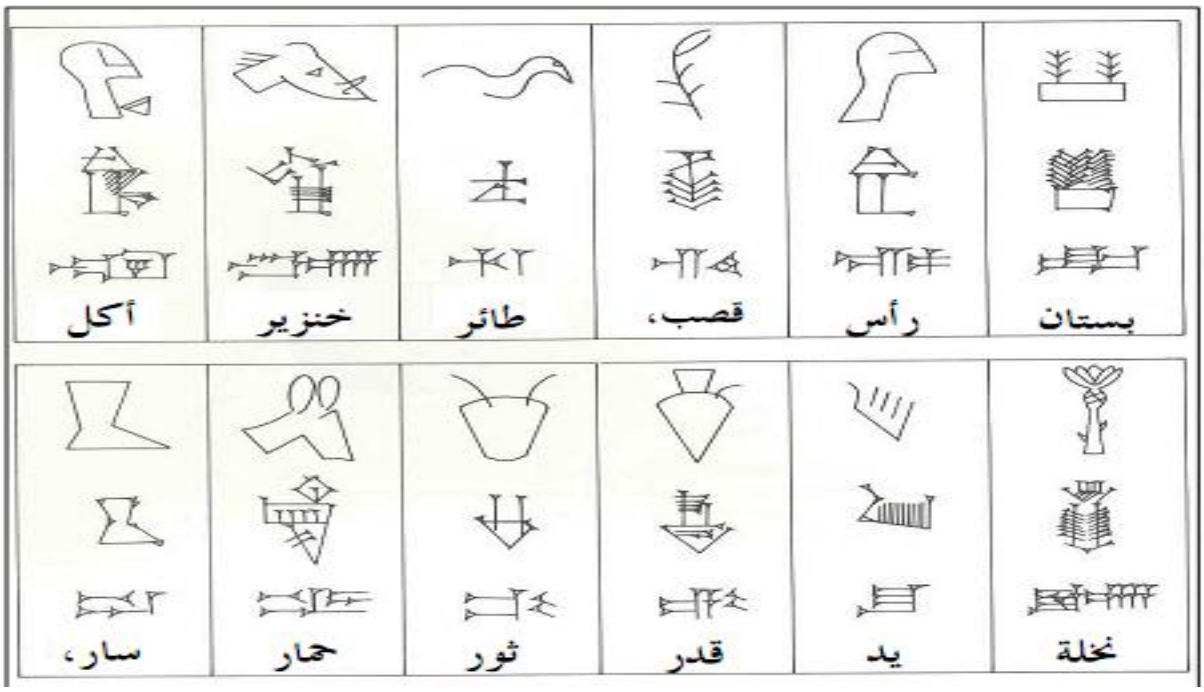

الشكل رقم (1): نماذج للكتابة المسمارية التصويرية.

المصدر: حسن ظاظا، المرجع السابق، ص 59.

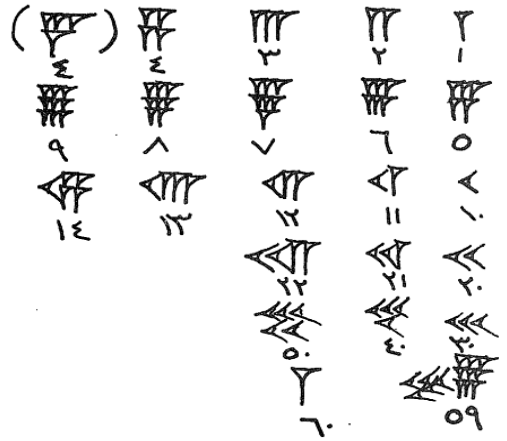

الشكل رقم (2): الأرقام المسمارية.

المصدر: بلخير بقة ، المرجع السابق، ص 181.

الملحق رقم (3)

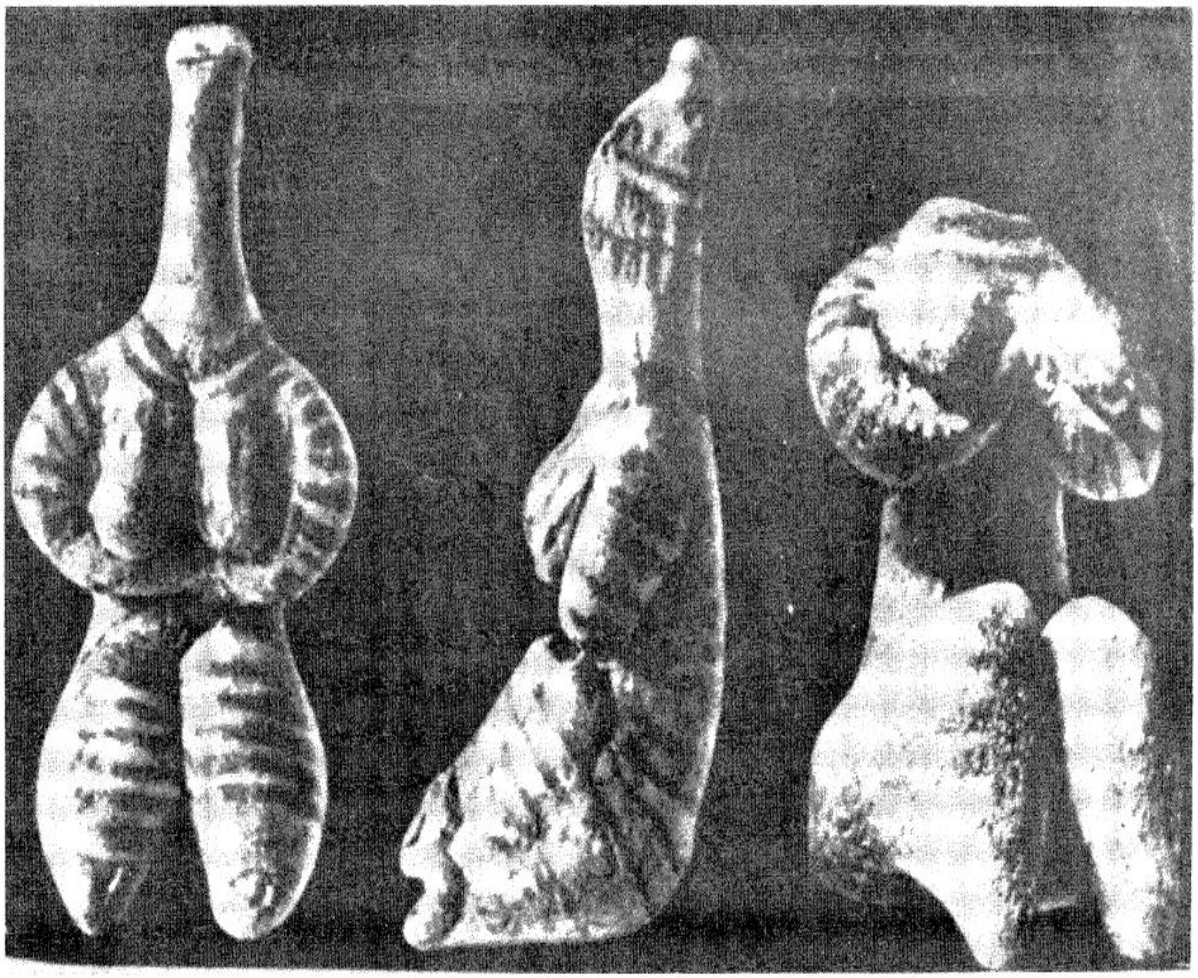

دمى تمثل الآلهة الأم من عصر حلف.

المصدر: فاضل عبد الواحد علي، (**عشتار مأساة تموز**)، المرجع السابق، ص 168.

الملحق رقم (4)

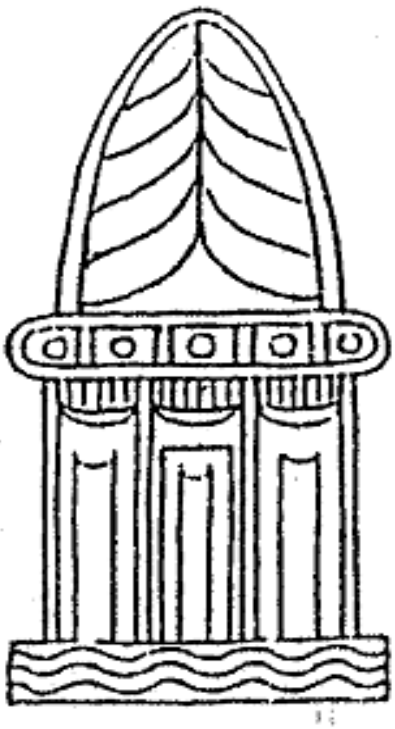

رمز إله السماء آن.

المصدر: خزعل الماجدي، (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص 89.

الملحق رقم (5)

تمثال الإله "انليل".

المصدر: خزعل الماجدي، (**متون سومر**)، المرجع السابق،ص 95.

الملحق رقم (6)

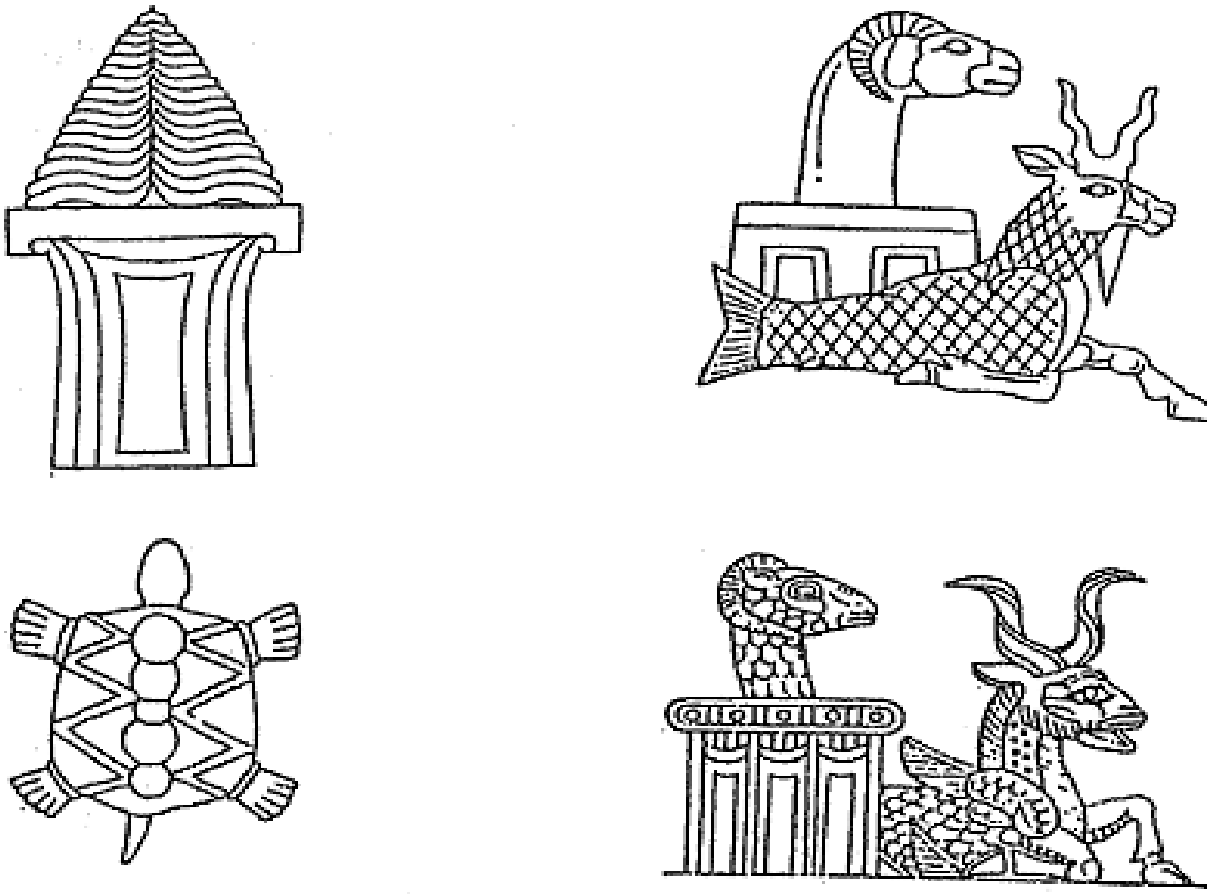

رموز الإله "انكي".

المصدر: خزعل الماجدي، (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص 101.

الملحق رقم (7)

الشكل رقم (1): إله القمر "نانا"

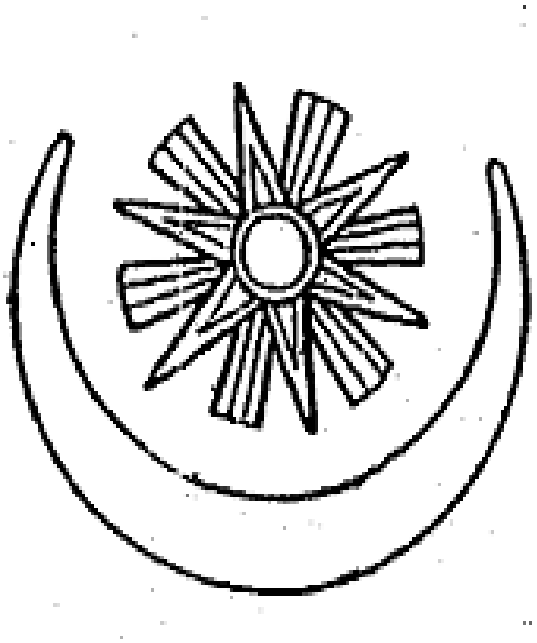

الشكل رقم (2): رمز إله القمر "نانا" أو"سين بالأكدية".

المصدر: خزعل الماجدي، (**متون سومر**)، المرجع السابق،ص 110 ،111.

الملحق رقم (8)

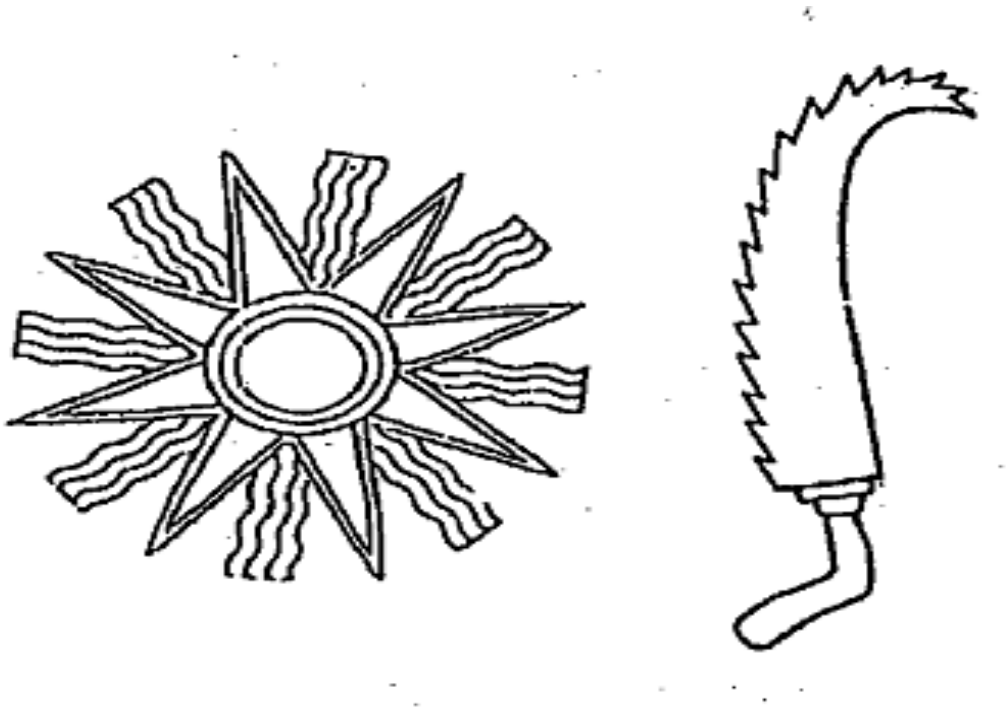

رمز إله الشمس أوتو.

المصدر: خزعل الماجدي، (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص 119 .

الملحق رقم (9)

الشكل رقم (1): إلهة الحب والخصب "عشتار".

المصدر: خزعل الماجدي، (**بخور الآلهة**)، المرجع السابق، ص194.

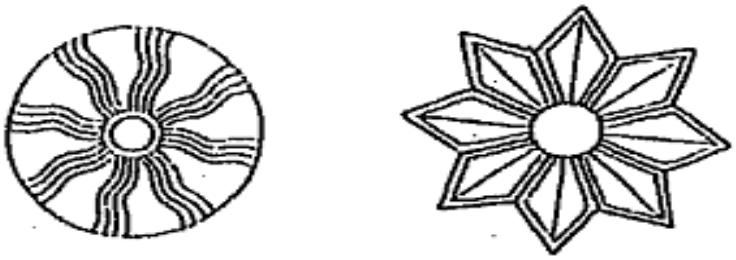

الشكل رقم (2): رمز إلهة الحب والخصب "عشتار".

المصدر: خزعل الماجدي، (**متون سومر**)، المرجع السابق، ص122.

الملحق رقم (10)

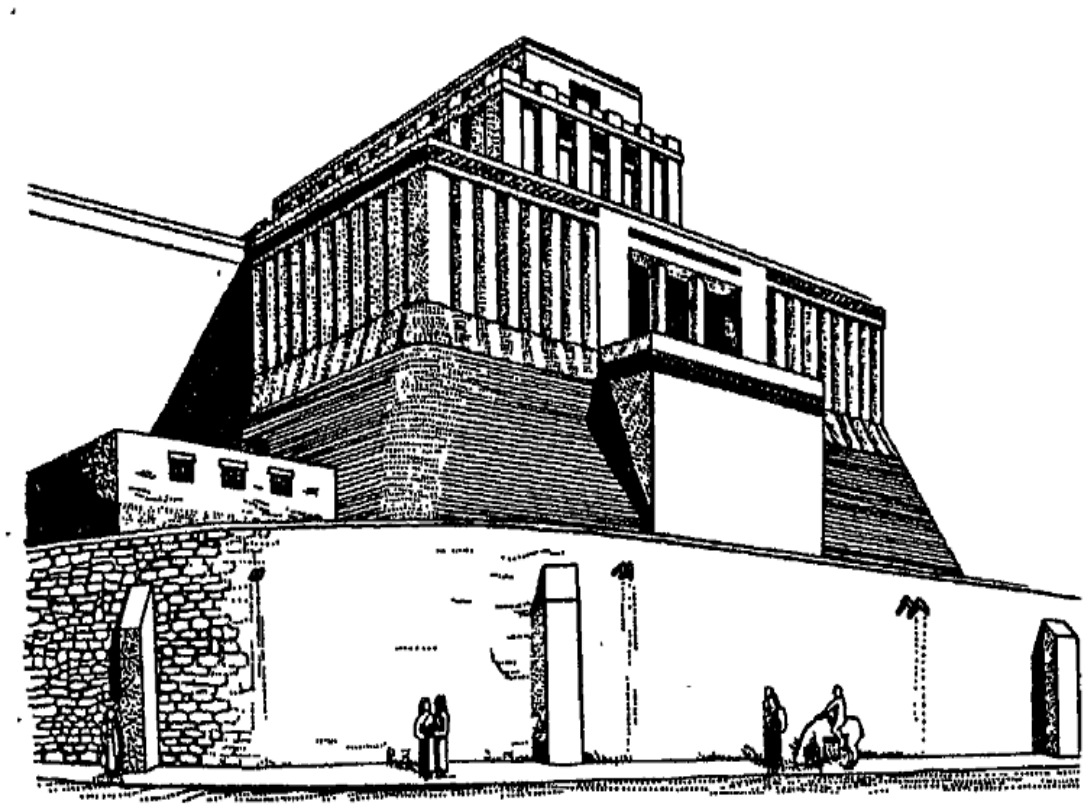

نموذج لمعبد مرتفع في اريدو.

المصدر :حسن محمد محي الدين السعدي، المرجع السابق، ص 42.

الملحق رقم (11)

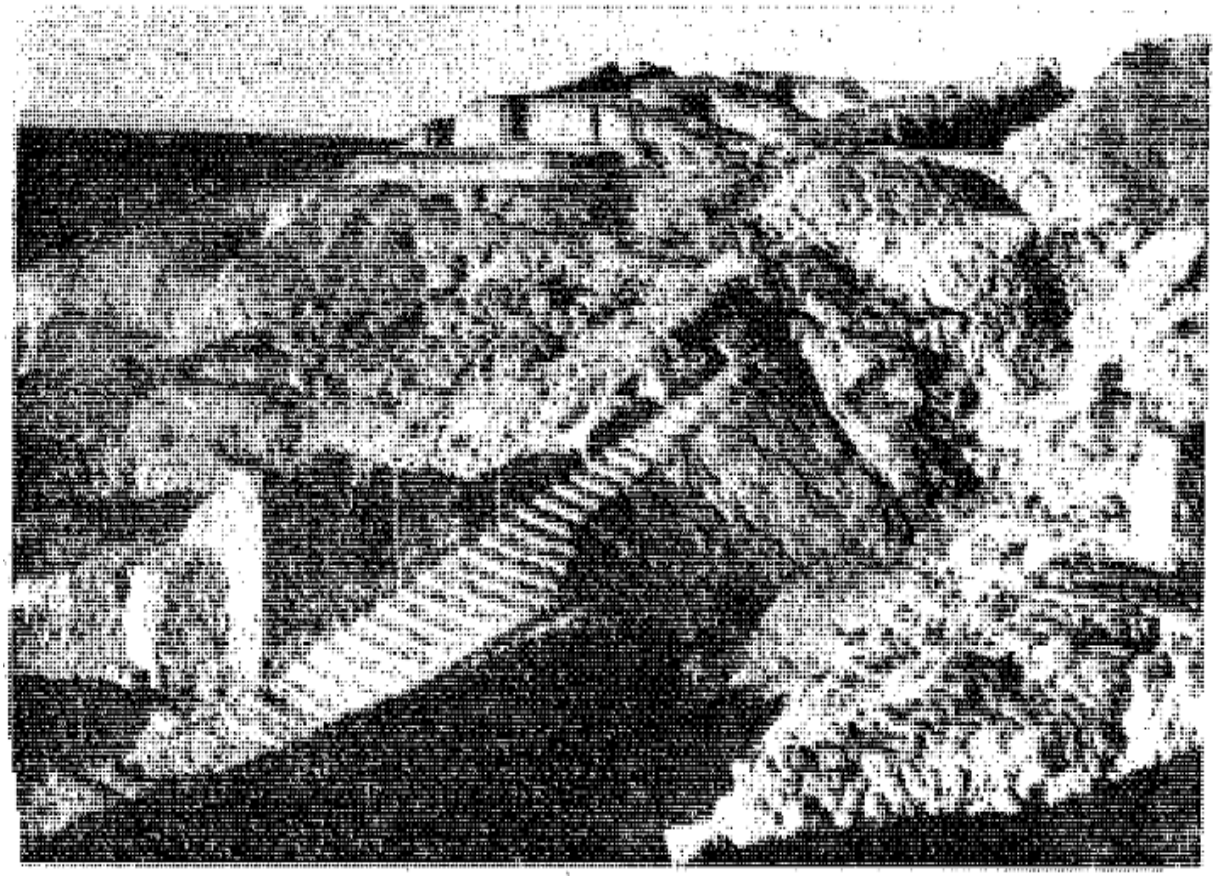

نموذج للمعبد الأبيض في الوركاء.

المصدر: ابراهيم زرقانة وآخرون ، المرجع السابق، ص 273.

الملحق رقم (12)

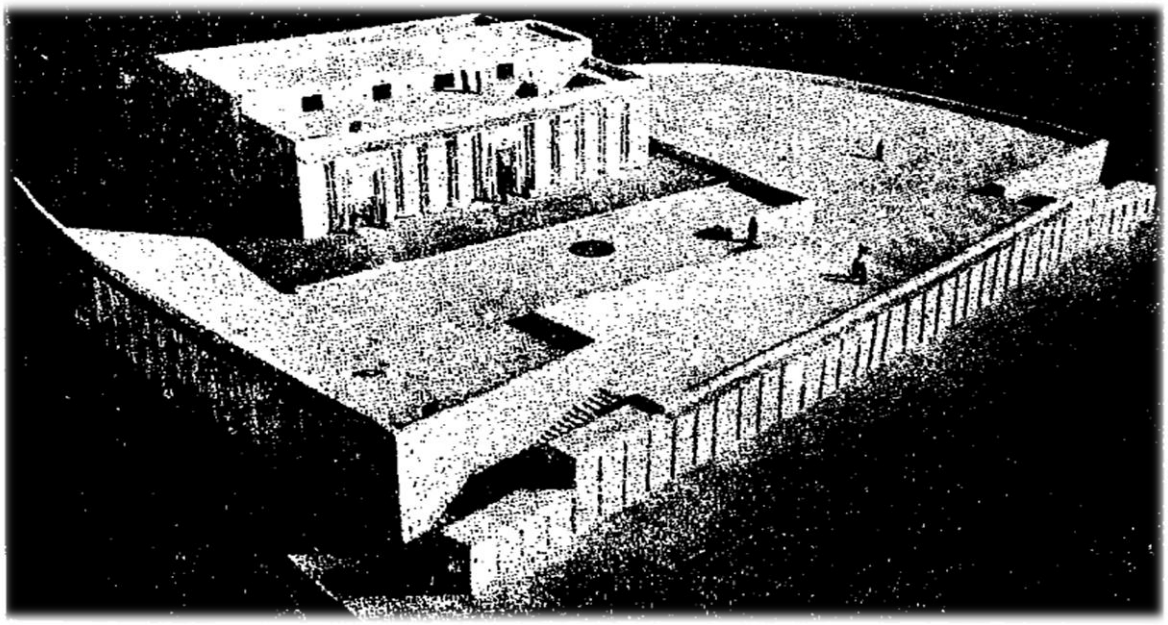

الشكل رقم (1): نموذج لمعبد سومري "ملون برسوم" في تل العقير.

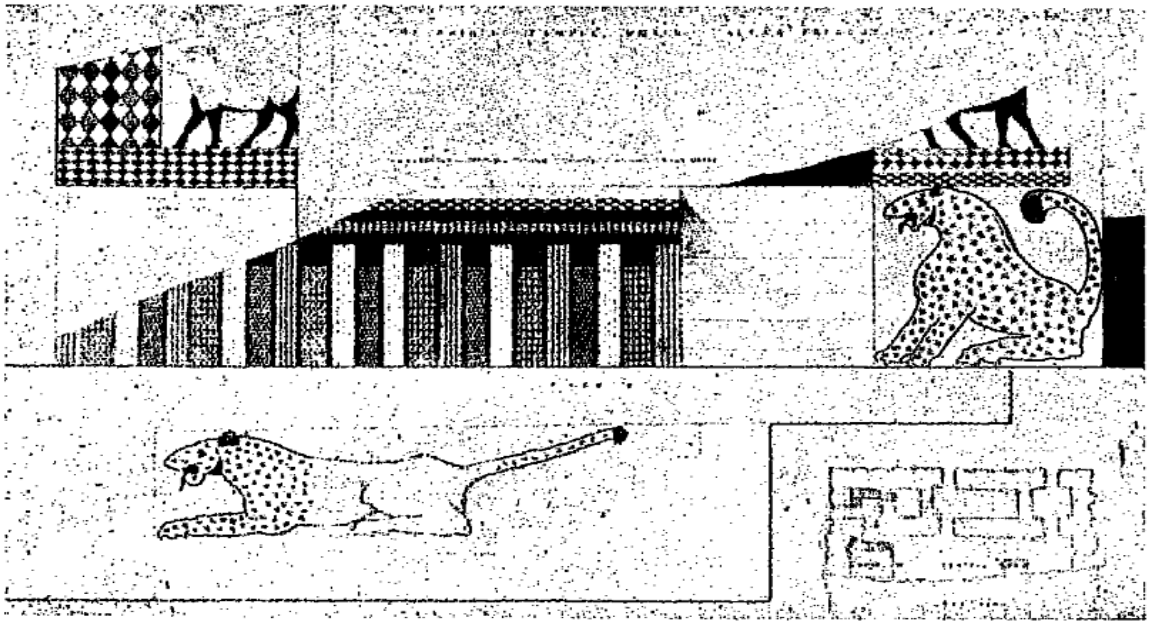

الشكل رقم (2): أجزاء معبد " تل العقير" المزخرف برسوم.

المصدر: طه باقر، المرجع السابق، ص 284 .

الملحق رقم (13)

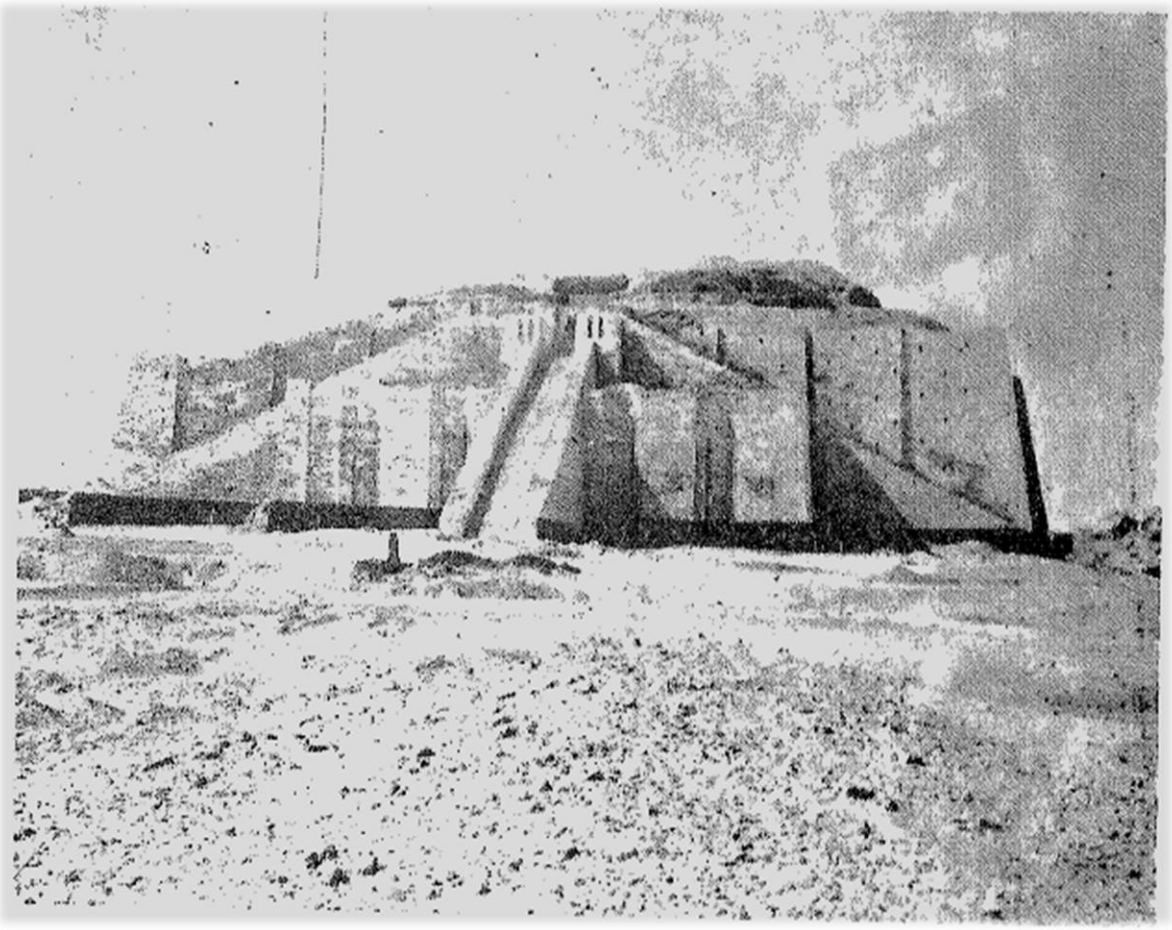

زقورة "المعبد المرتفع"، الذي شيدها الملك "اورنامو"، في مدينة "اور".

المصدر: توفيق سليمان، **دراسات في حضارات غرب اسيا القديمة من اقدم العصور الى عام 1190ق.م**، دار دمشق، دمشق، 1985.ص 419 .

الملحق رقم (14)

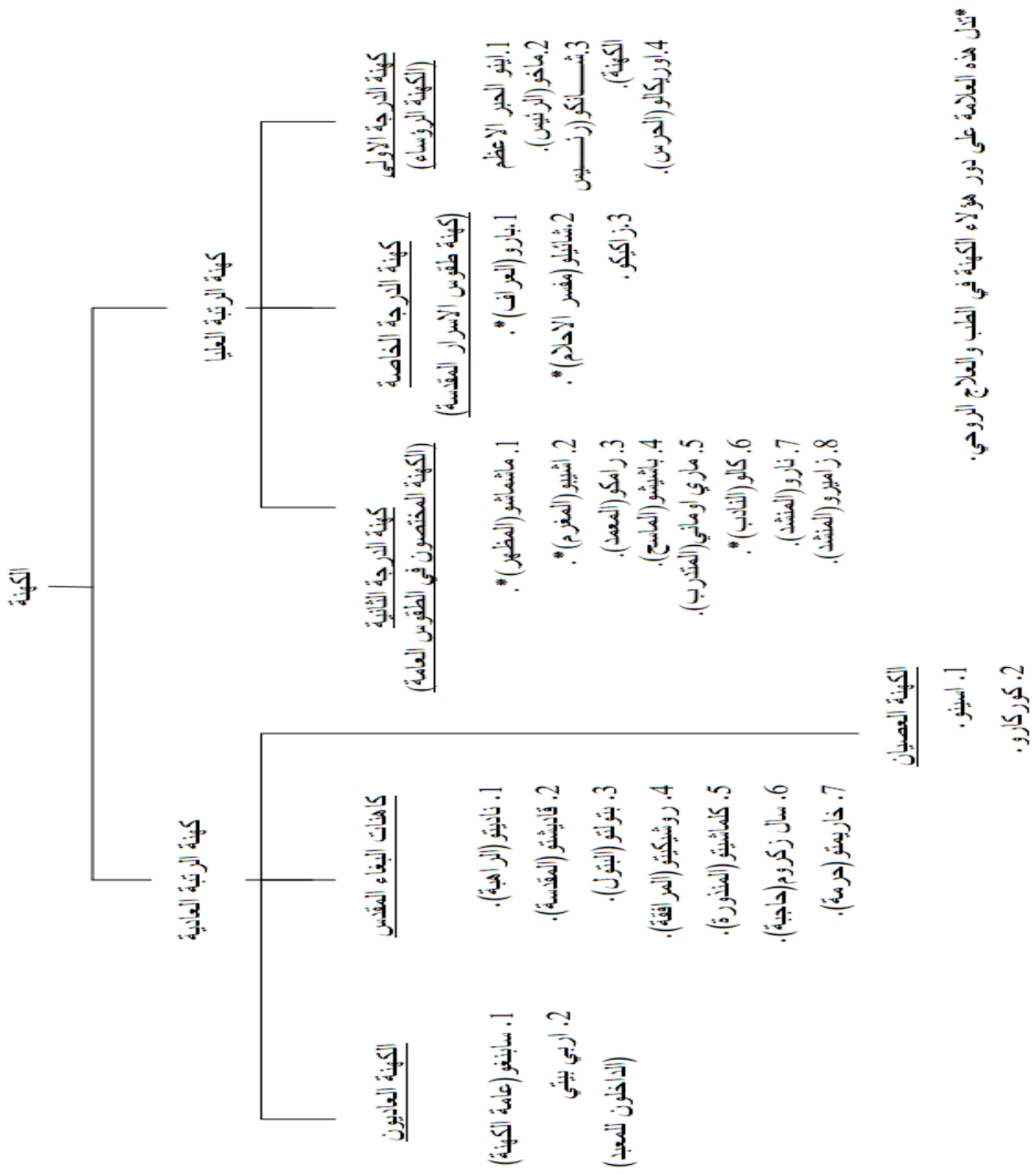

مخطط يمثل مراتب النظام الكهنوتي في بلاد الرافدين

المصدر: خزعل الماجدي،(**بخور الالهة**)، المرجع السابق، ص 363.

الملحق (15)

تماثيل سومرية تمثل التدرج الكهنوتي .

المصدر: بلخير بقة، المرجع السابق، ص 275 .

الملحق رقم (16)

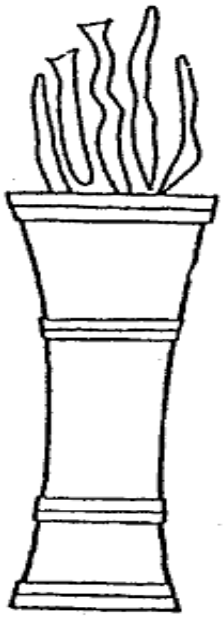

الشكل رقم (1): شكل يمثل الموقد المقدس.

الشكل رقم (2): يمثل طقس سكب السوائل .

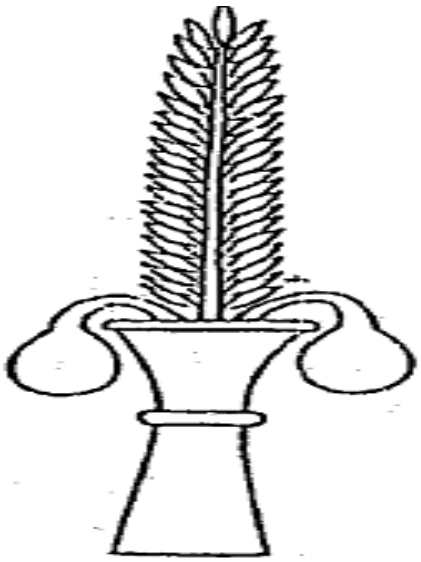

الشكل رقم (3): إناء سكب الماء المقدس.

المصدر: خزعل الماجدي،(**متون سومر**)، المرجع السابق، ص 316، 317.

الملحق رقم (17)

قائمة

المصادر و المراجع

البيبليوغرافيا

I-المصادر:

1- القرآن الكريم.

II-المراجع:

أ- المراجع بالعربية:

1- احمد محمد خليفة حسن, **رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته**، دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع، مصر، 1998.

2- إسماعيل حلمي محروس, **الشرق العربي القديم وحضارته** , مؤسة شباب الجامعة , الإسكندرية,1997.

3- الأحمد سامي سعيد ، **المعتقدات الدينية في العراق القديم**، المركز الاكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013 .

4- باقر طه ، **بابل وبورسيبا** ، ط1، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1959.

5- ————, **مقدمة في أدب العراق القديم** ,دار الحرية للطباعة، بغداد، 1976 .

6- ————, **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة** ,ط2، دار المعلمين العالمية، بغداد، 1955 .

7- جي صباح اسطيفان كجه, **الصناعة في تاريخ وادي الرافدين** , (دن)، (د م ن) ،2002 .

8- حبي يوسف , **الإنسان في أدب وادي الرافدين**، دار الجاحظ، بغداد، 1980 .

9- الحسني عبد الرزاق ، **العراق قديما وحديثا** ، ط3 ،مطبعة العرفان ، لبنان ،1958 .

10- ديلابورت.ل، **بلاد ما بين النهرين – الحضارتان البابلية والأشورية**، تر:محرم كمال ،ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1997 .

11- ديورانت ويل , **قصة الحضارة "حضارة الشرق الأدنى"** ، تر: محمد عبد الرحيم, ج1 ، دار الجيل، لبنان، (دت).

12- الذيب سليمان بن عبد الرحمان بن محمد , **الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية** , الدار العربية للموسوعات، الرياض، 2006 .

13- ذنون عبد الحكيم , **التشريعات البابلية**، ط2، دار علاء الدين، دمشق، 1999 .

14-رزقانة إبراهيم وآخرون , **حضارة مصر والشرق القديم** , دار مصر للطباعة ، مصر ،(دت).

15- زايد عبد الحميد , **الشرق الخالد**, دار النهضة العربية ، القاهرة ،1966 .

16- سازونوف. ا و ك.ماتفيف, **حضارة ما بين الهرين**، تر:حا ادم ،دار المجد، دمشق،1991.

17- ساكز هـ.و.ف, **البابليون** ،تر: سعيد الغانمي ،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2009.

18- السعدي حسين محمد محي الدين ، **في تاريخ الشرق الأدنى القديم –** العراق إيران آسيا الصغرى**–**، ج2، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002.

19- سليم احمد أمين , **تاريخ العراق– إيران– آسا الصغرى**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.

20- ————, **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم** , دار النهضة العربية , بيروت,1989.

21- ————, **دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم –مصر والعراق– دراسة حضارية** ، دار النهضة العربية، بيروت، 2002 .

22– سليمان توفيق ، **دراسات في حضارات غرب اسيا القديمة من اقدم العصور الى عام 1190ق.م**، دار دمشق، دمشق، 1985.

23- السواح فراس, **الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم**، ط3، دار علاء الدين، دمشق،1997 .

24- ————, **دين الإنسان**، ط4، منشورات دار علاء الدين ، دمشق، 2002 .

25 – ————, **لز عشتار**، ط8، دار علاء الدين، دمشق، 2002 .

26 – ————، **مغامرة العقل الأولى**، ط11، دار علاء الدين ، دمشق، 1996.

27- الشواف قاسم , **ديوان الأساطير –سومر وأكاد وآشور–** ، ج1، دار الساقي، بيروت، 1996.

28- ————, **ديوان الأساطير –سومر وأكاد وآشور–** ، ج2، دار الساقي، بيروت، 1997.

29- صالح عبد العزيز , **الشرق الأدنى القديم- مصر والعراق-**,ط2 , مكتبة الانجلو مصرية, القاهرة, 1980.

30- ظاظا حسن , **الساميون ولغاتهم**،ط2 ،دار القلم ، دمشق، 1990.

31- عزيز كارم محمود ,**اساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**، دار الحصاد، سوريا، (دت).

32- عصفور محمد أبو المحاسن , **الشرق الأدنى قبل عصوره التاريخية**، مطبعة المصري، الإسكندرية ، 1962.

33- ————, **معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم**،مطبعة المصري، الإسكندرية ،1968 .

34- ————, **معالم حضارات الشرق الأدنى القديم**، دار النهضة العربية ،بيروت ، 1987.

35- عكاشه ثروت, **الفن العراقي القديم – سومر وبابل وأشور-** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،(دت).

36- علي سعيد إسماعيل , **التربية في حضارات الشرق القديم** ,عالم الكتب ، القاهرة، 1999 .

37- علي عبد اللطيف احمد, **محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم**، جامعة بيروت العربية ، بيروت،2009.

38- علي فاضل عبد الواحد ، **عشتار ومأساة تموز**، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1999.

39- علي محمد عبد اللطيف محمد , **تاريخ العراق القديم** , مكتبة الإسكندرية ، الإسكندرية ،1977.

40- فرح نعيم , **موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم** , دار الفكر ، دمشق ،1972.

41- ف.كوفاليف وف.دياكوف, **الحضارات القديمة**, تر: نسيم واكيم البازجي ،ج1 ,ط1,دار علاء الدين ,دمشق، 2000.

42- قاشا سهيل , **اثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية**، ط1، بيسان للنشر و التوزيع والإعلام , بيروت، 1998.

43- لويد سيتون, **اثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي** ، تر:محمد طلب، ط1، دار دمشق، دمشق، 1993 .

44 - الماجدي خزعل, **إنجيل بابل**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، 1998.

45- ————, **بخور الآلهة**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، 1998 .

46- ————, **متون سومر** , ط1، الأهلية للنشر والتوزيع , عمّان ,1998 .

47- مبيض يسر محمد سعيد, **اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة**، دار الثقافة، قطر،1992.

48- المخلافي عارف احمد إسماعيل ,**دراسات في تاريخ الشرق القديم "العراق وبلاد الشام"**،ط1، المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع، صنعاء،2001.

49- مرعي عيد ومحمد حرب فرزات ، **دول وحضارات الشرق العربي القديم**، ط2، دار طلاس، دمشق، 1994.

50- مهران محمد بيومي, **تاريخ العراق القديم**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 1999 .

51- ————, **دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**، ط2، دار النهضة العربية، بيروت،1988 .

52- ————،**المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم** ،ج2،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية،1999.

53- موسكاتي سبتينو , **الحضارات السامية القديمة** ,تر:السيد يعقوب بكر، دار الرقي،بيروت ، 1999 .

54- الناضوري رشيد ،**دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم**، المكتب المصري الحديث، مصر،1958.

55- نوح كريمو صموئيل, **من ألواح سومر** , تر:طه باقر ،مكتبة المثنى , بغداد ,1956.

56- الياد مرسيا, **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية**، تر:عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق، دمشق، 1987.

57-يحي اسامة عدنان ، **دراسة في الآساطير – الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم–**، دار الصداقة، فلسطين، 2004 .

ب– المراجع بالأجنبية:

1- Lopez Éliane, **L'histoire des civilizations** , Groupe Eyrolles , Paris , 2008.

2- Mcintosh. R Jane , **Ancient Mesopotomia**, Library of Congress Cataloging in Publication Data, 2005 .

3-Penglase Charles, **Greek Myths And Mesoptamia**, Routledge , London , 1994 .

4- Roux Georges, **Ancient Iraq**, 3 Edition , Penguin Books, London, 1994 .

III: الدوريات والمجلات :

1– الأحمد سامي سعيد, **معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور** ،العدد2، جامعة بغداد، بغداد، 1977.

2– بارندر جفري ,**المعتقدات الدينية لدى الشعوب** ،تر:إمام عبد الفتاح إمام، العدد173، عالم المعرفة، الكويت،1993.

3– الجميلي عامر عبد الله ،**أسماء المدن والمواقع الجغرافية المتشابهة لفظا والمختلفة في موقعا في النصوص المسمارية**، مجلة آداب الرافدين، العدد 54، جامعة الموصل، الموصل ،2006 .

4– الحبوبي شيماء ماجد ، **جوانب من الحضارة السومرية**، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الأول ،بغداد ،2012.

5– الهاشمي رضا, **النظام الكهنوتي في العراق القديم**، (د ن)، (د م ن)، (د ت).

6– روكان محمد كامل, **سقوط أور ونهاية العصر السومري في حضارة بلاد الرافدين**،المجلد 12، العدد 4،مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، (د م ن) ،2009 .

7– سمار سعد عبود ، **الأحوال السياسية لـ"أوما"** من العصر الأكدي حتى نهاية حكم سلالة أور الثالثة، مجلة لارك، العدد 6، جامعة واسط، بغداد ،2011 .

8– كاظم لمياء محمد علي, **الوركاء مدينة الحضارة الخالدة،** مجلة جامعة بابل، العدد1، المجلد 18، جامعة المثنى، بغداد،(دت).

9– كاظم شيماء ماجد, **طرد الشياطين الأرواح الشريرة في نصوص بلاد الرافدين،** مجلة كلية الآداب، العدد96 ،مركز إحياء التراث العلمي العربي، بغداد، (دت).

10– لويد سيتون, **المجهودات الأثرية في العراق،** مجلة سومر، ج2، مديرية الآثار القديمة العامة، بغداد،1945.

IV: الموسوعات والقواميس:

1– اوبوايه جانين و اندريه ايمار, **تاريخ الحضارات القديمة – الشرق واليونان القديمة–**،تر: فريد م داغر، ج1، ط2، منشورات عويدات، بيروت ،1986 .

2– رشيد فوزي وآخرون, **موسوعة حضارة العراق** ، ج1، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، بغداد، 1985.

3– الساموك سعدون محمود ، **في مقارنة الأديان –المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن–،** دار وائل للنشر، عمّان،2006 .

4– سعفان كامل, **موسوعة الأديان القديمة –معتقدات آسيوية–** ، دار الندى، مصر،1999.

5– السواح فراس ,**موسوعة تاريخ الأديان– مصر وسورية وبلاد الرافدين،** ط2، دار علاء الدين، دمشق، 2007.

6–نعمة حسن , **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة** ، دار الفكر اللبناني، بيروت ،1994 .

7– هنري س .عبودي, **معجم الحضارات السامية** , ط2، جروس برس, لبنان, 1991 .

IIV:الرسائل الجامعية:

1– احمد دمانة, **الحياة الأدبية والعلمية ببابل ونينوى من1792ق.م** إلى **539ق.م،** أطروحة ماجيستر،الإشراف:بلقاسم رحماني، قسم التاريخ ،جامعة الجزائر ،غير منشورة، الجزائر،2008 .

2– بقة بلخير, **اثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية –سومر وبابل (3200– 539 ق.م–)،** أطروحة ماجيستر،الإشراف:بلقاسم رحماني، قسم التاريخ ،جامعة الجزائر ،غير منشورة، الجزائر،2009 .

3–سامية معوشي، **مؤسسة المعبد ودورها في حضارة وادي الرافدين– سومر وبابل نموذجا–،** أطروحة ماجيستر،الإشراف:بلقاسم رحماني، قسم التاريخ ،جامعة الجزائر ،غير منشورة، الجزائر،2009 .

4– سليم سعيدي, **القانون و الأحوال الشخصية في كل من العراق و مصر**(2050–332ق.م)، أطروحة ماجستير، الإشراف: بن لحرش عبد العزيز، قسم التاريخ والآثار ،جامعة منتوري ، قسنطينة ،غير منشورة، الجزائر،2010 .

5– علي فاضل عبد الواحد , **الخط المسماري واللغة الاكدية**، قسم الآثار ،جامعة بغداد ،بغداد ، (دت).

6– الموسوي جاسب مجيد جاسم,**الدين والمعتقد في حضارة بلاد وادي الرافدين وأثره في الفكر الديني في حضارة بلاد إيران خلال المدة (3000ق.م–624م) دراسة مقارنة**، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، بغداد،2007 .

فهرس
المحتويات

المحتـوى **الصفحة**

الشكر

الإهداء

مقدمة ..... **ا – د**

الفصـل التمهيـدي:..... **09**

الإطار الجغرافي والتاريخي لسومر

I– الإطار الجغرافي..... **10**

II– الإطار التاريخي..... **13**

الفصل الأول : **31**

عقائد السومريين

I– نشأة الديانة السومرية وخصائصها..... **32**

II– الأساطير السومرية..... **37**

III– الآلهة السومرية.....**41**

IV– العقاب والثواب عند السومريين..... **49**

الفصـل الثاني :..... **52**

المؤسسة الدينية

I– المعابد السومرية..... **53**

II– الكهنة وطبقاتهم..... **59**

III– دور مؤسسة المعبد في سومر..... **68**

الفصـل الثالث :..... **74**

الطقوس السومرية

I– الطقوس اليومية..... **75**

II– طقوس المناسبات..... **80**

III– الطقوس الدورية..... **84**

VI– الطقوس السرية..... **86**

الخاتمة..... **92**

الملاحق..... **96**

قائمة المصادر والمراجع..... ..... **113**

فهرس المحتويات..... **121**